سلسلة الدراسات التثقيفية

١

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

موضوعات في الاشتراكية العلمية







سلسلة الدراسات التثقيفية

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

موضوعات في الاشتراكية العلمية

دائرة الاعلام المركزي

طبعة أولى ١٩٨٤

تنبيه من مكتبة الشيوعيين العرب!

سلسلة "موضوعات في الاشتراكية العلمية"، في خمسة اجزاء، ليست من نسخ الصوت الشيوعي، بل من نسخ آخرين، وقد عثر عليها اثناء بحثه في الإنترنت.

قامت مكتبة الشيوعيين العرب بـ "تطهير" شامل للسلسلة من افكار شيوعية الخائن خروشوف المزيفة، التي عادت على الحركة الشيوعية الثورية بالدمار ... وقد قمنا بذلك من خلال حذف بعض الفقرات، حذف بعض الصفحات، وإعادة صياغة بعض الجمل والعبارات ذات الصلة.

لذا أقتضى التنويه.

الصوت الشيوعي

الفصل الاول
الدور التاريخي للطبقة العاملة

تنشأ البروليتاريا في رحم المجتمع الرأسمالي ، وتتطور عددياً وسياسياً وتستكمل ملامحها كطبقة مستقلة ، وتدرك ذاتها باعتبارها طبقة ، وتؤلف أحزابها الخاصة ، مع تطور الرأسمالية نفسها . ومنذ بدء نشوئها تخوض البروليتاريا الصراع ضد البرجوازية ، ومخلفات المجتمع الاقطاعي في آن واحد . ويمر نضالها الطبقي ضد الرأسمالية بأطوار مختلفة على صلة مع نمو الرأسمالية ، ونموها ذاتها كطبقة .

تقول العبارة الاولى في «البيان الشيوعي» ان «تاريخ كل مجتمع الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات»[1] فالاحرار والعبيد والاقطاعيون والفلاحون ، السادة والنبلاء ، وبكلمة أخرى المستغِلون والمستغلون ، كانوا في صراع دائم وهذا الصراع يكون تارة ظاهراً وتارة مستتراً . صراع كان ينتهي دائماً إما الى الاطاحة بالطبقتين المتصارعتين أو يطيح بسيطرة طبقة ويقيم سيطرة الطبقة المنتصرة . والمجتمع البرجوازي الحديث الذي نشأ في رحم المجتمع الاقطاعي ، لم يقضِ على هذا التناحر بين الطبقات بل أوجد طبقات جديدة بدلاً عن القديمة وخلق ظروفاً واشكالاً جديدة للاضطهاد .

ان عصرنا الراهن يتميز بوجود طبقتين كبيرتين العداء بينهما سافر ومباشر ، ولا يمكن تسويته مطلقاً ، هما البرجوازية والبروليتاريا . والبرجوازية المعاصرة نتيجة تطور طويل وسلسلة من الثورات في أساليب الانتاج والتبادل . فعندما استولت

---

(١) ماركس ـ انجلز ـ البيان الشيوعي ـ المؤلفات المختارة بالعربية ـ ص ٤٩ ـ دار التقدم ١٩٦٨

البرجوازية على السلطة سحقت تحت أقدامها جميع العلاقات الاقطاعية ومزقت الحجاب العاطفي الذي كان مسدلاً على العلاقات العائلية وحولتها الى علاقات مالية صرفة وأدخلت تغيرات ثورية مستمرة على ادوات الانتاج وبالتالي على علاقات الانتاج وعلى العلاقات الاجتماعية بأكملها وجرت البرجوازية الى تيار المدنية كل الامم بما فيها الاشد همجية نتيجة بحثها عن الاسواق والمواد الاولية ، من أجل تحقيق الارباح وانماء الرأسمال ، واستلزم ذلك تحسين وسائل المواصلات والى قيام ثورة علمية تكنيكية شملت مختلف مناحي الانتاج والحياة الاجتماعية ، كما قامت البرجوازية باخضاع الريف الى المدينة ، فنشأت المدن الكبرى وخلقت البرجوازية قوى منتجة تفوق في عددها وعظمتها كل ما صنعته التشكيلات الاجتماعية السابقة لها . وهذه القوى المنتجة هي الطبقة العاملة ، ولكل هذه الاسباب فان البرجوازية لعبت «في التاريخ دوراً ثورياً للغاية»* لكن البرجوازية بخلقها للقوى المنتجة الجديدة ـ البروليتاريا لم تصنع فقط الاسلحة التي سوف تقتلها بل أخرجت الرجال الذين سيستعملون هذه الاسلحة وهم العمال العصريون أو البروليتاريون .

فالبروليتاريا تتطور تبعاً لتطور البرجوازية والرأسمال ونتيجة لاتساع استخدام الآلات ولتقسيم العمل فقدت البروليتاريا كل صبغة شخصية في علاقاتها التناحرية مع البرجوازية ، وفي علاقات أبناء الطبقة ذاتها مع بعضهم ، وأصبح العامل عبارة عن ملحق بسيط للآلة .

ومر تطور البروليتاريا ونضالها بمراحل مختلفة ، فمن النضال العفوى الذى كان يستهدف تحطيم الالات ـ كما ظهر في انكلترا في اوائل القرن التاسع عشر ـ الى النشاط الثورى المنظم ، الذى جاء نتيجة لتمركز الطبقة العاملة في المؤسسات الرأسمالية الكبرى والمصانع الحديثة ، قطعت البروليتاريا شوطا تاريخيا كبيرا باتجاه وحدتها الطبقية والتضامن بين فصائلها ليس في البلد الواحد فقط وانما في كل البلدان . وخلال هذه المرحلة التاريخية أوجدت الطبقة العاملة نظريتها الثورية ،

(*) المصدر السابق ـ ص ـ ٥٣ ـ

أى سلاحهـا المعنـوى والسيـاسي ، الذى استخدمته في صراعها ضد البرجوازية ، هذه النظـريـة الثورية هي الماركسية ـ اللينينية . وليس بين جميع الطبقات التي تقف الآن امـام الـبرجـوازيـة وجهـا لوجـه الا طبقة ثورية واحدة حقا هي البر وليتاريا . فالطبقـة العـاملة هي اكثـر الطبقـات تنظيـما ، ومصالحها تقف في الضد من مصالح البرجوازية على طول الخط ، وهي الطبقة الاكثر اتصالا بوسائل الانتاج الحديثة ، كما أنها في عصرنا الراهن تشكل الاغلبية المطلقة من مجموع السكان في كافة البلدان الرأسمالية المتطورة . ولهذا فانها الطبقة الاكثر انسجاما بين فصائلها والاكثر ثورية في نضالها ضد الملكية الخاصة . فالعامل الحديث لايمتلك سوى قوة عمله التي يبيعها للرأسمال . ولهذا فان حركة البر وليتاريا هي حركة قائمة بذاتها الاكثرية الساحقة في سبيل مصلحة الاكثرية الساحقة من السكان . والبر وليتاريا وهي تهب للنضال ضد الـبرجـوازية ، تجر الى ساحة الصراع الطبقي ضد البرجوازية الغالبية العظمى من السكان ، الفلاحين وبعض الفئات الوسطى ، وابان الثورات البر وليتارية ينفصل حتى قسم من الـبرجـوازيـة وينضم للثورة خاصة ذلك القسم المتنوّر من البرجوازية كما يقول لينين . ولهذا فان مصلحة البر وليتاريا هي مصلحة كل الطبقات والفئات الاجتماعيـة ، باستثناء حفنة صغيرة من البرجوازية مالكة وسائل الانتاج ، وهي في أحسن الاحوال لاتساوي اكثر من ٥٪ من سكان اى بلد من البلدان ،

ان علاقـة الـبر وليتاريا بوسائل الانتاج الحديثة ، تحتم ليس فقط تحطيم علاقات الانتاج الرأسمالية الاستغـلالية ، بالثورة الاشتراكية ، وانما ازالة كل استغلال طبقي والى الابـد . ولهـذا فان مصلحـة الـبر وليتـاريـا منسجمـة للنهـاية في العداء للملكية الخاصة ولانقسام المجتمع الى طبقات متناحرة . وهي في ثورتها لاتحل نمطا استغـلاليـا جديـدا محل نمـط قديم ، كما فعلت الـبرجـوازيـة وقبلهـا الاقطاعية . وبـالـرغم من ان نضـال البر وليتاريا ضد البرجوازية ليس في اساسه وطنيا ، فهو مع ذلك يتخذ هذا الشكل ، اذ لاحاجة للقول ان على بروليتاريا كل بلد من البلدان ان تقضي قبل كل شيء على برجوازيتها الخاصة .

ان الشرط الاساسي لوجود وسيادة البرجوازية هو تكديس الثروة في أيدى بعض الافراد وتكوين الرأسمال وانماؤه ، وشرط وجود الرأسمال هو العمل المأجور ، والعمل

المأجور يستعيض عن انعزال العمال في مشاريعهم باتحاد ثوري لهم « ان البرجوازية تنتج قبل كل شيء حفاري قبرها ، فسقوطها وانتصار البروليتاريا كلاهما أمر محتوم لا مناص منه » (*)

تفاقم أزمة الرأسمالية ودور الطبقة العاملة :

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حدثت تغيرات نوعية في الاقتصاد الرأسمالي حيث نمت رأسمالية ما قبل الاحتكارات الى الرأسمالية الاحتكارية . وقد حلل ماركس بطريقة علمية واقعية اقتصاد وسياسة المرحلة التنافسية في الرأسمالية وطبيعة الاستعمار وتناقضاته العميقة . وبرهن لينين ان الامبريالية هي أعلى وآخر مرحلة في تطور الرأسمالية وكشف عن امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد . ان الامبريالية هي آخر مرحلة في تطور الرأسمالية وتحتفظ بكل ميزات الرأسمالية .

الملكية الخاصة واستغلال العمال المأجورين والمنافسة والفوضى في الانتاج ووجود الطبقتين الرئيسيتين الرأسمالية والعمالية ، ولكن جميع هذه الميزات دخلت عليها تغييرات نوعية ملموسة .

أدى اضمحلال بنية الرأسمالية التنافسية وظهور الرأسمالية الاحتكارية الى تركيز الانتاج في مؤسسات كبيرة وضمن سيطرة كبار الرأسماليين على وسائل الانتاج ، وادخل تغيرات على القوى المنتجة وتمت العديد من الاكتشافات العلمية والتقنية في التعدين وبناء المكائن والكيمياء والطاقة وظهرت تكنولوجيات انتاجية جديدة وأدت هذه التغييرات الى ادخال تعديلات في تركيب الفروع الصناعية . فحتى عام ١٨٧٠ كانت الصناعة الخفيفة هي السائدة ، وبعد هذا التاريخ ظهرت المؤسسات العملاقة التي تحشد كميات كبيرة من الوسائل المادية والقوى العاملة . وأدى هذا الى تكثيف ضخم للرأسمال والانتاج .

كتب لينين يقول : (ان المنافسة الحرة تولد تكثيف الانتاج ولكن هذا التكثيف

(*) ماركس ـ انجلز ـ المختارات بالعربية ـ دار التقدم موسكو ١٩٦٨ ـ ص ٦٦

يؤدي الى درجة ملموسة من تطوره نحو الاحتكار » .(*)

في اواسط القرن العشرين اكتسب الرأسمال الاحتكاري خواص جديدة سببها الرئيسي درجة التكثيف الجديدة وتمركز الرأسمال. لكن الاحتكارات لاتغير من واقع الرأسمالية بل انها توسع مقياس الملكية الرأسمالية وتسرع تطور الانتاج واشاعته وكذلك تزيد من حدة التناقضات بين الطابع الاجتماعي للانتاج والشكل الرأسمالي الخاص للاستحواذ. ان سيطرة الاحتكارات لاتنحصر في دائرة الانتاج فقط ، اذ تنتشر في دوائر اخرى . كتب لينين : « لكن تصوراتنا حول القوى الفعلية واهمية الاحتكارات المعاصرة يمكن ان تكون غير كافية جدا أو غير كاملة اذا لم يؤخذ بنظر الاعتبار دور المصارف » .

وفي الظروف المعاصرة بتطور الجهاز المصرفي تسيطر بضعة عشرات المصارف العملاقة على القسم الاغلب من الوسائل المالية للدول الرأسمالية . اذ يسيطر الان « مائة مصرف على نسبة ٨٥ ، ٩٠٪ من جميع العمليات المالية في العالم الرأسمالي » .

ان ظهور الرأسمال المالي ، شكل احدى السمات الاساسية للامبريالية ، وظهور الرأسمال المالي اشار الى عملية دمج الصناعة بالمصارف .

ان عصر الامبريالية هو عصر الرأسمالية الناضجة الموجودة في عشية انهيارها . فالامبريالية تشدد التناقضات الطبقية لدرجة لا سابق لها واهم هذه التناقضات هو التناقض بين العمل ورأس المال من ناحية وبين الدول الامبريالية والنامية من ناحية اخرى ، ومن جهة اخرى بين الدول الامبريالية نفسها واضافة الى كل ما سلف ظهر التناقض الاساسي لعصرنا بين الرأسمالية والاشتراكية .

أدى تطور حركة التحرر الوطني العالمية ، الى تحويل التناقض بين الدول المستعمرة سابقا والدول الامبريالية ، الى احد اهم التناقضات في عصرنا . ان تسابق الدول الامبريالية فيما بينها من اجل الحصول على الارباح والمواد الخام وايجاد

(*) لينين ـ المختارات بالعربية ـ الامبريالية على مراحل الرأسمالية . ص ـ ١١ ـ

(*) لينين ـ المصدر السابق ـ ص ـ ٣٦ ـ

(*) قضايا اساسية في النظرية الماركسية ـ اللينينية ـ مجموعة علماء بلغار ـ ١٩٨٢ صوفيا ص ٩

الاسواق واستثمار رؤوس الاموال في البلدان النامية ، من ناحية ، والتناقض بين حركة التحرر والامبريالية العالمية من ناحية اخرى ، يعمل عمله في تقليص نفوذ الرأسمالية على الساحة الدولية ، بفعل الضربات الكبيرة التي وجهت لها في القارات الثلاث . ورغم ان الامبريالية شددت التناقضات الى درجاتها القصوى ، فان ذلك لايعني انها ستنهار من تلقاء نفسها وبفعل تناقضاتها العميقة لوحدها ان قبرها لايتم دون نضال حاسم للجماهير الشعبية بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الطليعي .
ان ممارسة الطبقة العاملة لدورها القيادى يأتي من موقعها في عملية الانتاج في ظل الرأسمالية ، ومن وزنها الاجتماعي والسياسي الكبير في العملية الثورية ، ولا تستطيع اية طبقة اخرى ان تنجز مهمة القضاء على الرأسمالية غير البروليتاريا المنظمة في نقاباتها واحزابها والقادرة على خوض النضال الى نهايته المظفرة . ان الفترة مابين انتصار البروليباريا في اول دولة اشتراكية وبين القضاء التام على النظام الرأسمالي العالمي هي فترة تاريخية كاملة . لقد تطورت الازمة العامة للرأسمالية ودخلت ثلاثة اطوار رئيسية ، كانت الاولى قد بدأت مع انتصار ثورة اوكتوبر ، وبدأت المرحلة الثانية في أزمتها عقب قيام المعسكر الاشتراكي ، وهي تعيش الان مرحلتها الثالثة ، التي تتميز باشتداد الهجوم عليها من قبل الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، وحركة التحرر الوطني ، وبالاستناد الى ميزان طبقي دولي جديد . واهم علامات المرحلة الاخيرة هذه ، هي انقسام العالم الى معسكرين اجتماعيين متضادين هما النظام الاشتراكي العالمي والرأسمالية العالمية . وأهم ما ميز هذه المرحلة ، انها ظهرت ليس نتيجة حرب أو منازعات ، بل تطورت على اساس تنافس اقتصادى اجتماعي بين النظامين ، وفي ظل ظروف سيادة سياسة التعايش السلمي ، هذا الشكل الخاص للصراع الطبقي على الساحة الدولية .

وقد ازدادت في العشرين عاما الاخيرة تناقضات الامبريالية على الصعيد الدولي ، والداخلي ، بشكل لم يسبق له مثيل : وبلغت ازمة الرأسمالية العالمية درجة من الحدّة غاية في الخطورة تمثلت في محاولة الامبريالية العالمية الخروج من مآزقه بتسعير سباق التسلح والعودة الى سياسة التدخل المباشر في شؤون الشعوب الاخرى ، وتشديد الهجوم على الاشتراكية القائمة وحركات التحرر ، ومحاولات

تحقيق تفوق عسكري على الاشتراكية العالمية . وقد جلبت هذه المرحلة معها مخاطر حقيقية على الجنس البشري ووجوده على الارض من احتمال اندلاع حرب نووية كونية . الا أن العملية التاريخية لانتصار الاشتراكية على النطاق العالمي تسير بشكل حثيث حيث لايمكن للرأسمالية ان تحقق تفوقا عسكريا على الاشتراكية ، وذلك بالطبع لايقلل من الاهمية الحيوية للنضال النشيط من اجل لجم الامبريالية والعودة بالعالم الى سياسة التعايش السلمي . ان النضال بين البرجوازية البروليتاريا على الساحة الدولية تأخذ طابع المنافسة الاقتصادية بين المعسكر لاشتراكي والمعسكر الرأسمالي . والنجاح في هذا المضمار له أولية حاسمة في العملية الثورية العالمية ، لما له من تأثير على البنية العسكرية في المعسكر الاشتراكي ذاته ، وتأثير أيضاً في نضال حركات لتحرير وايضاً في اقامة قسمة عمل دولية جديدة تختلف عن قسمة العمل الرأسمالية على الساحة الدولية .

ادت الثورة العلمية التقنية الى تنشيط الانتاج وادخلت تغييرات هامة في طرق الادارة الاقتصادية ، وقد استغلت الرأسمالية الثورة العلمية لصالح استمرارها ، جاء في وثيقة اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ « لا يجب الاستهانة بالامكانيات التقنية للرأسمالية . ار النضال ي المضمار العلمي التقني سيكون طويلاً وصعباً . لكن الاشتراكية ممتانة بالحزم لتبرهن افضليتها في هذا الميدان . »(*)

تتعمق الازمة العامة للرأسمالية تحت تأثير ونفوذ النظام الاشتراكي العالمي وبواسطة المساعدة التي يقدمها للبلدان النامية ، وبفعل هذه المساعدة يتم الحد من تصدير رأسمال الدول النامية وتساهم في تطوير هذه البلدان وبيان افضلية الاشتراكية بالنسبة لشعوبها .

ان تعاليم النضال الطبقي الماركسية تفضي لا محال الى الاعتراف بسيادة البروليتاريا السياسية ، بدكتاتوريتها ، وبسلطتها التي لا تقتسمها مع احد والتي تستند مباشرة الى قوة الجماهير . واسقاط البرجوازية لا يمكن ان يتحقق عن غير طريق تحول البرولتاريا الى طبقة سائدة وقادرة على قمع ما تقوم به البرجوازية

(*) المصدر السابق . ص ٥٠ ـ ٥١

حتما من مقاومة يائسة وعلى تنظيم جميع الكادحين من اجل بناء النظام الاقتصادي الجديد ولا بد للبرولتياريا من الاستيلاء على سطلة الدولة وتنظيم قوة القمع لمقاومة المستثمرين . كتب لينين « ان اسقاط سيادة البرجوازية لا يمكن الامن جانب البرولتياريا باعتبارها طبقة خاصة تعدها ظروف وجودها الاقتصادية لهذا الاسقاط وتعطيها الامكانية والقوة للقيام بذلك . »(*) فالبرولتياريا بحكم دورها الاقتصادي في الانتاج الضخم هي الوحيدة الكفوءة لتكون زعيماً لجميع جماهير الشغيلة والمستثمرين (بالفتح) الذين يبيعون قوة عملهم للبرجوازية .

ان الثورات الاشتراكية ـ الظافرة في اوروبا واسيا وامريكا اللاتينية وتطور بعض البلدان على طريق التوجه الاشتراكي ، دليل على ان المحتوى الرئيسي لمفهوم لينين عن الثورة الاشتراكية المعادية للامبريالية ، والدور القيادي للطبقة العاملة فيها ، ما يزال محتفظاً بصحتة التامة ، وان صحته تتأكد يوما فيوم . كان لثورة اكتوبر سمات تميزت بها ، فهي فريدة من نوعها اذ حملت في جوهرها سمات ذات اهمية شاملة ، فليس هناك تجربة تبين ان من الممكن الانتقال الى الاشتراكية باتباع طريق مختلف عن طريق اكتوبر جوهرياً . « وبالطبع فان هناك حاجة لصياغة خط سياسي واستراتيجية وتكتيكات تنسجم عى خير وجه مع الظروف الوطنية والتاريخية الملموسة في كل بلد على انفراد وتأخذ الوضع الدولي الناشيء بعين الاعتبار . »(*)

لقد طور لينين نظرية الثورة الاشتراكية والدور القيادي للبروليتاريا فيها في مجرى الدفاع عن الماركسية واغنائها بصورة خلاقة وقد اعتبر ألثورة الاشتراكية عملية عالمية لا تجري على نسق واحد وتتضمن في محتواها حقبة كاملة من تاريخ الجنس البشري وهي الحقبة التي نعيش فيها . وكانت ثورة اكتوبر اول تجسيد عملي للدور القيادي للطبقة العاملة ورسالتها التاريخية في بناء الاشتراكية والقضاء على

(*) لينين : الدولة والثورة ـ دار التقدم موسكو ـ ص ـ ٣١ ـ

(*) ميخائيل سوسلوف ـ لينين وتقدم البشرية . الثقافة الجديدة العراقية العدد ١١٩ نيسان ١٩٨٠ ص ـ ٤٩ ـ

مجتمع الاستغلال الرأسمال ، واثبتت الحياة بالملموس وفي التجارب الاشتراكية العلمية كافة ، صحة النظرية الماركسية ـ اللينينية حول دور الطبقة العاملة التاريخي . بل ان النكسات المؤقتة التي عانتها القوى الثورية في هذا البلد أو ذاك قدمت وقائع تجريبية لصالح اللينينية لان هذه التراجعات كانت في اغلب الاحيان ثمرة استيعاب ناقص لقوانين الثورة الاشتراكية ، ودور الطبقة العاملة القيادي ،

تحاول الدعاية الامبريالية تصوير وكأن اللينينية ومفهومها حول الدور القيادي التاريخي للطبقة العاملة ، قد شاخت ، بالزعم ان الامبريالية تختلف عن طورها الاول ، أي الرأسمالية . وقد دحض لينين نفسه تأكيدات هؤلاء المنظرين البرجوازيين ، بتأكيده انه في المرحلة العليا من الرأسمالية ، أي الامبريالية ، تصبح مسألة الدور التاريخي القيادي للطبقة العاملة أشدّ الحاحاً واقرب الى الواقع اكثر من أي وقت مضى .

ضرورة وطابع الحزب الطليعي

قام ماركس وانجلس بتنفيذ اعظم عمل نظري ايديولوجي وسياسي وتنظيمي لتكوين حزب ثوري للبروليتاريا . ولقد صاغ ماركس وانجلس افكارهما حول الحزب البروليتاري في عدد من المؤلفات ولكن اكثرها شمولاً هو ما جاء في « البيان الشيوعي » والنظام الداخلي لاتحاد الشيوعيين وكذلك في « وثائق الاممية الشيوعية الاولى » عند الكشف عن القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي برهن واضعاً اسس الاشتراكية العلمية على الطابع الانتقالي التاريخي للرأسمالية والتشكيلات الاجتماعية التي سبقتها . وتوصلا الى استنتاج ان « اضمحلال الرأسمالية وانتصار البروليتاريا شيئان حتميان »(*) ان الرأسمالية سوف لن تزال تلقائياً بل يجب هدمها بالقوة المنظمة بشكل ثوري ، ان القوة التي ستنفذ هذه المهمة هي الطبقة العاملة . واكتشاف الدور التاريخي العالمي للبروليتاريا باعتبارها حفارة قبر الرأسمالية ومبدعة البناء الاجتماعي الجديد هو خدمة عظيمة لماركس وانجلز . فالبروليتاريا لكي تعيش تقدم قوة عملها للرأسمال ، ولهذا لا يستطيعون التحرر من الاستغلال الرأسمالي اذا لم يتم القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وسوية على العمل المأجور ايضاً .

ان تحرير الطبقة العاملة هي مسألة تعود للطبقة العاملة ، وانطلاقاً من الدور التاريخي للطبقة العاملة ودورها القيادي في النضال الثوري الطبقي برهن واضعا اسس الاشتراكية العلمية على ضرورة وجود حزب ثوري للبروليتاريا . كتب انجلس في رسالته التي بعث بها الى المجلس الفدرالي الاسباني للحركة العمالية العالمية في ١٣/٢/١٨٧١ يقول : « اثبتت التجربة في كل مكان بان احسن وسيلة

(*) ماركس انجلز ـ المختارات ـ المجلد ٤ . ص ـ ٤٣٥ ـ

لتحرير العمال من هذا الاستعباد للاحزاب القديمة كان تأسيس حزب بروليتاري في كل دولة وهو الحزب الذي يتبع سياسة مستقلة تختلف عن سياسة بقية الاحزاب ذلك لانه يجب ان يعبرعن ظروف تحرير الطبقة العاملة »(*) ان البر وليتاريا لا يمكن ان تنال سيادتها السياسية دون ثورة عنيفة ولكي تنفذ ثورتها فانها تحتاج الى حزب يقودها .

وعلى النقيض من المفاهيم العقائدية البرجوازية من ان الحزب هو منظمة لاناس متحدين عقائدياً فقط خارج نطاق تبعيتهم الطبقية ، طور ماركس وانجلس نظرة مادية للحزب باعتبار الطبقة العاملة هو القسم الاكثر تقدماً من الطبقة ، أي طليعة الطبقة وهيئة اركانها في النضال الطبقي ولذلك فانه يمثل مصالحها الاجتماعية الاقتصادية والسياسية ويوجه ويقود النضال الثوري . ومن اجل الحفاظ على الطابع الصدامي والثوري الطبقي لحزب البر وليتاريا بذل ماركس وانجلز وبعدهما لينين جهوداً كبيرة من اجل تحسين بنية الحزب بالتركيز على اجتذاب اناس من اوساط البر ولتياريا الصناعية لانها القسم الاكثر تقدماً من الطبقة العاملة مع السماح بدخول ممثلين عن الطبقات الكادحة شريطة ان يتخلوا نهائياً عن افكارهم وعن العادات والتقاليد البرجوازية الصغيرة . وقد صاغ ماركس وانجلز الهدف الرئيسي لحزب البر وليتاريا بكون النضال لاسقاط « سيادة البرجوازية والاستيلاء على السلطة »(*) .

يختلف الشيوعيون عن غيرهم في انهم يخوضون النضال من اجل البر وليتاريا من مختلف القوميات منهم يدافعون عن المصالح العامة للبر وليتاريا وقضية تحريرها من الاستغلال بغض النظر عن القومية ، وفي مختلف مراحل الصراع بين البر وليتاريا والبرجوازية فانهم يدافعون عن مصالح كل الحركة العمالية في بلدانهم وفي البلدان الاخرى . ان حزب الطبقة العاملة ، ليس منظمة سياسية ، منعزلة ، وليس منظمة مهمتها نشر الافكار الثورية فحسب ، انها هيئة اركان حربية تقود نضال البر وليتاريا

(*) ماركس انجلز ـ رسائل مختارة ـ صوفيا ١٩٥٥ ص ـ ٢٩٠٢ ـ

(*) المصدر السابق ص ـ ٢٩٢ ـ

اليومي ، في المعارك الصغيرة من اجل المصالح الانية والمطالب الصغيرة ، وفي المعارك الفاصلة ، ولذلك فانهم لا يستغنون عن اية وسيلة من وسائل النضال في سبيل زج البروليتاريا في المعارك الفعلية ، الا انهم لا ينسون لحظة مهمتهم السياسية تلك هي القضاء على البرجوازية واحلال سيادة البروليتاريا محلها . ان الحزب البروليتاري هو الفصيلة الواعية للطبقة العاملة والشيوعيون هم اكثر قسم من اقسام الطبقة العاملة عزماً واندفاعاً وان مهمتهم تتعين في غرس الوعي بين العمال حول طبيعة التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا . والحزب البروليتاري هو قوة منظمة للطبقة العاملة يضم اجهزة ومنظمات تتلقى الاوامر من مركز واحد وبطاعة الزامية لجميع الاعضاء وعلى حد سواء ؛ ومبدأ الوحدة الفكرية والتنظيمية في الحزب هو المبدأ الاول لقوته وقدرته القتالية ويجب ان تقوم وحدة الحزب على الاسس الصلدة للماركسية - اللينينية . يعود الفضل التاريخي للينين في وضع مبادىء بناء الحزب البروليتاري من الطراز الجديد ، بناء حزب يستجيب موضوعياً للمهام الملحة لنشاط البروليتاريا الثوري . ولن يقوم الحزب البروليتاري نتيجة تصورات أو رغبات ذاتية أو تعبيراً عن النزعة الارادية كما يزعم منظروا البرجوازية ، لقد انبثق الحزب من تجارب المعارك الطبقية ، ونشأ وتطور في لهيب الصراع . جاء في النظام الداخلي للاممية الاولى « لا تستطيع الطبقة العاملة العمل كطبقة الا اذا نظمت نفسها في حزب سياسي خاص بها ، يعارض جميع الاحزاب القديمة التي انشأتها الطبقة المالكة »(*) .

ان التحليل اللينيني للتطور الاجتماعي في عصر الامبريالية اكد ان البروليتاريا بحاجة اكثر من أي وقت مضى الى حزب ثوري ، وان الطبقة العاملة والجماهير المستغلة لا تستطيع مواجهة طبقة المستغلين الموحدة التي ركزت كل الثروة الاجتماعية في يدها ، وسخرت جهاز الدولة للدفاع عن امتيازاتها ، الا اذا نظمت نفسها . فالتنظيم هو سلاحها الاكثر فعالية في النضال ضد سيطرة الرأسمال . والحزب البروليتاري هو تنظيم كفاحي للطبقة العاملة واتحاد متماسك لأناس متجانسين في

(*) ماركس انجلز - المختارات - المجلد ٣ ص - ١٤٣ -

التفكير ، مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالجماهير وهو قوة منظَمة ومنظِمه . واذا كانت إحزاب الاممية الثانية قد انزلقت تدريجياً الى مواقع ضيق الافق القومي ووصلت في بداية الحرب العالمية الاولى الى الشوفينية القومية وخيانة القضية العالمية للطبقة العاملة « فان الحزب اللينيني البرليتاري وقف مباشرة والى الابد في موقع الاممية البرليتارية وجعل منها المبدأ الاهم في نشاطه العملي . »(*) ان الاختلافات بين الحزب اللينيني واحزاب الاممية الثانية الانتهازية لا يتعلق بخلافات شكلية من ناحية بنية الحزب وطبيعة سياسته . بل خلافات جوهرية تتعلق بفهم العمليات الاجتماعية ، وبمهام الحزب البرنامجية وبنضال الحزب في سبيل تنفيذ هذه المهام وبالتالي باشكال التنظيم التي تنشأ في مجرى هذا النضال وقد إنطلق لينين من ان ثمة علاقة وثيقة بين محتوى نشاط اية مؤسسة وشكل تنظيمها وينبع طابع الحزب الثوري البرليتاري وقواعده الداخلية ، من محتواه السياسي . الحزب البرليتاري حزب لقيادة الثورة ، وليس حزباً من اجل التسويات الطبقية والمهادنات ، ولهذا فان قواعد تنظيمه يجب ان تقوم على اسس فولاذية تمكنه من خوض الصراع بكفاءة ضد البرجوازية الرجعية .

وقد صاغ لينين في مؤلفاته ، ما العمل ، خطوة إلى الامام خطوتان الى الوراء ، وغيرهما المبادىء الاساسية لبناء الحزب من الطراز الجديد وعمل على تجسيد هذه المبادىء في حزب البلاشفة ، وكافح ضد التيارات الانتهازية العفوية التي تخاف من الانضباط الواعي وتؤمن بهذه الدرجة أو تلك بان بطولات حفنة من الافراد تؤدي الى تغيير مجرى التاريخ . وفي الموقف العملي حل لينين مسألة توحيد الاشتراكية بالحركة العمالية ، ومع نضال اوسع الجماهير الكادحة ، من خلال نشاط الحزب ومبادئه الايديولوجية والنظرية والسياسية والتنظيمية . ولم تكن مساهمة لينين مقتصرة على الجوانب النظرية في بناء الحزب ، بل انه وجه حزب البلاشفة في الساحة العملية واقام حزباً استطاع قيادة الشعب باسره نحو الاشتراكية ، وايضاً تنظيم العالم الجديد ، وتحويل الحزب الى قائد ومرشد ومعلم لجميع الشغيلة . والحزب

(*) الثقافة الجديدة ـ مصدر سابق ـ ص ـ ٥٣ ـ

الثـوري يمكن له ان يتـوقـع نفوذاً واسعاً بين الجماهير اذا كانت سياسته . مع كل ما يرافقهـا من مرونـة ضروريـة تتميـز بالالتـزام الثـابـت بالمبـادىء الطبقيـة ، وجاءت نضالات الاحزاب الشيوعية الظافرة لتؤكد فكرة لينين القائلة « ان السياسة المبدئية بوجـه عام ، هي وحـدهـا السياسة العملية الحقيقية »(*) وبين لينين واحداً من اهم قوانـين الصـراع الايـديـولـوجي بين الـبر وليتاريا والبرجوازية فاشار الى ان خصوم الماركسية يلجأون مراراً الى التنكر برداء الماركسية بغية تقويضها من الداخل وبالطبع فان هذه الحفلات التنكرية الايديولوجية تميل الى تغيير مظاهرها الخارجية ، الا ان جوهرها يظل كما هو « انها محاولة لوأد الجوهر الثوري لمذهبنا »(*) .

ان جميـع المحـاولات للفصـل بين لينـين وماركس وفيما يتعلق ببناء الحزب تتوخى نفس الهـدف . وليس هنـاك ارضيـة لنجاح هذه المحاولات ذلك ان جذور المذهب اللينيني تضرب عميقاً في تعاليم ماركس وانجلز . وما جاء به ماركس وطوره لينين في ظروف الامـبر يـاليـة جرى اختبـاره بالتجـربة الملموسة لعشرات الشعوب التي تبني الاشتراكية . « ان اللينينية هي ماركسية حقبتنا المعاصرة ، وهي مذهب متكامل ، متماسك ، ومتطور دوماً لحركة الطبقة العاملة العالمية »(*) .

ان حزب الطبقـة العـاملة الثـوري وثيق الصلة بالشعب نشيط فعال ومبادر يضم اكثر اقسام الطبقة العاملة وعياً ، كما انه المحرك الاكثر اهمية للعامل الذاتي في الثورة الاشتراكية ، وهو مؤشر على نضوج الثورة باعتباره المركز الايديولوجي والسياسي ، يعمم تجربـة النضـال الطبقي لتكـون في حوزة الحـركـة الثـوريـة ، ويضـمن ثبـات واستمرارية العمل الثوري . والحزب هو الاستراتيجي الشامل للثورة الاشتراكية ، يقـرر خطـة العمـل بمجملهـا والتصـرف بالقـوى في السـاحة السياسية والاهداف الـرئيسيـة : « ان الحـزب هو القيـادة العليـا للثـورة ، يوجـه وينسق اعـمال القـوى السيـاسيـة للثـورة في المحـافظـة على المهـام العـامة للحركة ، ويضمن وحدة عمل

(*) لينين : المختارات المجلد السابع - ص - ٤٨٩ -

(*) لينين : المصدر السابق - ص -)٤٩ -

(*) قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي - نيسان ١٩٨٠

الاطراف الثورية »(*) .

نقد المفاهيم البرجوازية والانتهازية بصدد دور الطبقة العاملة وحزبها الطليعي

ان الايديولوجيين البرجوازيين والاصلاحيين اذ يسعون لتشويه المبادىء اللينينية عن الدور الطليعي للحزب يحاولون اظهاره كمنظمة للمتآمرين استطاعت بفعل عزمها وحيويتها وتنظيمها الاستيلاء على السلطة والسيطرة على الجماهير وفرض نفسها كقوة متسلطة وبهذا فان ثورة اكتوبر ـ حسب منطقهم ـ تبدو حدثاً عرضياً في التاريخ وليس نتيجة طبيعية لتطوره . ان هذا الخلط بين « التسلط » و« النفوذ » الجماهيري لللحزب ، ليس عفوياً . لقد عبرت روزا لوكسمبورغ عن طبيعة حزب البلاشفة ابان ثورة اكتوبر وبايجاز شديد : « كان حزب لينين الحزب الوحيد الذي ادرك مهمة وواجب الحزب الثوري حقاً ، والذي ضمن شعار كل السلطة في يد البروليتاريا والفلاحين »(*) .

لا يمكن فصل المبادىء الثورية عن الايديولوجيا ، ولا عن الوعي السياسي للطبقة العاملة الذي تجسده النظرية ولا عن البرنامج كما لا يمكن فصله عن النشاط الهادف للحزب الماركسي . فبدون نظرية ثورية لا توجد حركة ثورية بهذه العبارة البليغة صاغ لينين فكرته . وتدعو اللينينية الى التحام النشاط الثوري مع الوعي السياسي ، ليس بالنسبة للحزب فحسب وليس للطبقة العاملة فقط ، بل لكل الجماهير الشعبية ، وبهذا بالذات تعارض اللينينية كل النظريات العفوية التي تنطلق من مواقع الانتهازية حول امكانية قيام الثورة الاشتراكية دون قيادتها من قبل الحزب

(*) ي . كرازن : ديالكتيك العملية الثورية ـ ص ١٢١ ـ مصدر سابق

(*) روزا لكسمبورغ ـ المؤلفات الكاملة مجلد ٤ ص ـ ١٤١ ـ برلين ١٩٧٤

البروليتاري ، ودون تأمين قيادة الثورة من قبل البروليتاريا ذاتها . ويحاول الانتهازيون الاستعاضة عن مفهوم الطليعة الواعية المنظمة في حزب بروليتاري بافكار ضبابية حول نشاط الاقلية المتمتعة بنفوذ في الجهاز العسكري أو في دواوين الدولة ، ويحاول هؤلاء بطرق ملتوية افقاد الحزب احد معالم قوته من خلال الزعم الفوضوي بان بقاء قيادة الحزب فترة طويلة دون استبدال تؤدي الى فقدان الديمقراطية الداخلية .

وليس من شك في ان قيادة الحزب البروليتاري لا تأتي بطريقة تآمرية ولا تزول ايضاً بطريقة تآمرية .

وتتناقض ثورية البرجوازية الصغيرة في نظريتها وممارستها مع التعاليم الماركسية . حول الحزب والطبقة العاملة . اذ يصبح الهدف بالنسبة للبرجوازية الصغيرة تحويل الحزب من طليعة سياسية متقدمة للطبقة العاملة ، الى تنظيم من اجل العبادة واثارة الاعجاب بشخص القائد ، أي الى شيء يشبه قطاعات الناس ينفذ الاوامر بطاعة عمياء . ان الطبقة العاملة وهي تبني حزبها تختار ايضاً قادتها ، وهي تدرك ان النشاط الواعي من قبلها يجب ان « يفترض مقدماً ودائماً وجود طليعته السياسية »(*) .

يؤكد منظرو البرجوازية ان الاختيار الواعي من جانب الشعب يمكن ضمانه بالانتخابات البرجوازية . وتنهض هذه الحجة على الفرضية الخاطئة بان كل ناخب يعي تماماً مصالحه السياسية . ولو نظرنا الى الواقع سنجد ان الانتخابات (الحرة) في المجتمع البرجوازي توفر لكل قطاعات الشعب امكانية نظرية لممارسة حق اختيار محدد سلفاً ببنية المجتمع الرأسمالي وبطبيعة الاحزاب الحاكمة وتشريعاتها القانونية حول مسألة الانتخابات ذاتها .

ويحاول بعض البرجوازيين الصغار تصوير الامر وكأن الحزب الطليعي هو ندوة للحوار والجدل أو هو مركز معلومات . ان حزب الطبقة العاملة هو حزب مقاتل ، تنظيم سياسي طليعي ، قادر على ايقاظ الطبقة كلها وحلفائها من اجل النضال

(*) ي . كرازن ـ ديالكتيك العملية الثورية ـ ص ـ ١١٥ ـ مصدر سابق

الثوري معتمداً على تنوير الشغيلة من خلال تجاربهم العملية . وهو لهذا يخضع لانضباط حديدي وتسود حياته الداخلية مبادى ملزمة وقواعد صارمة تقوم على المركزية الديمقراطية ، والنقد والنقد الذاتي ، وخضوع الهيئات الدنيا للهيئات العليا . في داخل الحزب البروليتاري يجري تنظيم عملية ابداء الرأي بحرية ، ضمن ضوابط التنظيم ، لا خارجها ، لمصلحة الحزب والطبقة العاملة ، وليس حباً بالجدل الفارغ ، وليس من اجل الزعم بان الديمقراطية تمارس علناً وبطرق فوضوية ، ان هذه الافكار الخطيرة حول مبادىء التنظيم اذا سادت في حزب ما ، فهذا يعني ان هذا الحزب سيكون مكشوفاً وعارياً امام خصومه الطبقيين ، وسيعني في آخر المطاف ضربات مميتة له .

تشكل سيادة الطبقة العاملة ودورها الطليعي احد اعظم القوانين المتحكمة في ملامح الحركة الثورية المعاصرة وهذا ايضاً قد تأثر بالتغيرات التي جرت في العالم خلال العقود الماضية ، فقد تغير تركيب الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، وظفرت البروليتاريا بالسلطة في العديد من البلدان ، وتطورت حركات التحرر الوطني ، وبرزت الى حلبة السياسة مجموعات اجتماعية جديدة لكل منها طريقها الخاص واراءها ونفسياتها . والآن اصبحت البرجوازية الصغيرة في البلدان النامية اكثر راديكالية بشكل ملحوظ ، وفي بعض الاقطار تقدمت لدرجة احتلت معها مواقع طليعية في الحركة الثورية بانتقالها الى مواقع الاشتراكية العلمية ، ومن هذا يتضح بجلاء ان مضمون الدور التاريخي للطبقة العاملة ، هو العامل الجوهري . في الثورة الاشتراكية . فبدون هذا العامل ، ليس هناك ثورة اشتراكية ، واذا كان هناك من يزعم ان بامكان احزاب الديمقراطية الثورية البرجوازية الصغيرة ان تبني الاشتراكية دون ان تتحول الى مواقع الطبقة العاملة فان هذا البعض يفترض وكأن البلد المعني يسير خارج التاريخ !!

يرى التحريفيون اليساريون واليمينيون ان التغيرات التي تحدث في البنية الاجتماعية للرأسمالية جعلت مفهوم سيادة البروليتاريا ودورها الطليعي ، مفهوماً قديماً . أي انهم يرفضون القانون الذي يحكم ملامح العملية الثورية . هذا الرفض يشكل الخيط الذي يشد المفاهيم « الماوية » التي تنيط بالفلاحين دور القوة القائدة .

كما نسمع من الايديولوجيين الانتهازيين ايضاً الحديث حول (انحسار) الروح الثورية للطبقة العاملة ، وهناك فريق آخر يؤكد ان البروليتاريا تتحول لتندمج في « الطبقي الوسطى » واخرون ينظرون حول « حلف تاريخي » للقوى الطبقية حيث يكون الدور القيادي فيه للمثقفين . ومن اجل اثبات هذه المفاهيم الانتهازية الرجعية يجري اللجوء الى معايير ضيقة جداً لتقرير مسألة الانتماء للطبقة العاملة ، اذ يصفون بالعامل كل شخص يقوم بعمل جسدي ، وما عدا ذلك لا يعتبرونه من العمال .

وبالاصل فان الطبقة العاملة هي حقاً مرتبطة بالعمل الجسدي الذي ما زال سائداً ، الا ان هذا المعيار لوحده لا يكفي . ومنذ ايام ماركس انتقد ماركس مشرعي المصانع البريطانيين لانهم استبعدوا عن عمد هيئة المهندسين من تعداد العمال في المصانع .

ان الثورة العلمية التقنية ساهمت في تعديل معايير الانتماء للطبقة العاملة ، ونجد في المرحلة الراهنة ان الطبقة العاملة تحتوي على الانتجلنسيا الصناعية الخاصة بها ومنها عمال ضبط وصيانة مشرفون على الكومبيوتر وكذلك واضعي برامج ، ومهندسين ومختلف اصناف الكوادر التقنية ، تلك التي يتطلب عملها نشاطاً ذهنياً في التطبيق اولاً وقبل كل شيء آخر حيث يندمج هؤلاء مع الطبقة العاملة ، وهناك فئات من العمال باجر اشار اليهم لينين عندما تكلم عن (البروليتاريا المهندسين) وتوقع ظهورهم في المستقبل .

لقد طرحت الماركسية فكرة الدور التاريخي القيادي للطبقة العاملة في العملية الثورية في وقت كان فيه الفلاحون اكبر طبقة في المجتمع الرأسمالي من الناحية العددية ، وبحكم وضع الفلاحين الموضوعي في نظام الانتاج الاجتماعي لم يكن باستطاعتهم شن نضال مثابر من اجل تحولات تقدمية رغم ضرورتها من الناحية الموضوعية كما لم يكن باستطاعتهم الدفاع عن مصالحهم الطبقية بانفسهم « فقد كان كل منهم معزولاً عن الآخر نتيجة لاسلوب الانتاج السائد فيما بينهم وكانت العلاقات بينهم محلية وليست على نطاق وطني ولم يكن لديهم أي تنظيم

سياسي . »(*)

غير ان نسبة الفلاحين في العالم الرأسمالي انخفضت الان انخفاضاً حاداً ، يضاف الى ذلك انهم انفسهم يمرون بتحولات وتصبح نسبة كبيرة منهم شغيلة يستخدمون التكنيك الحديث ويتلقون قدراً من التعليم وما الى ذلك ، لكن دور الفلاحين لا يتضاءل بتضاءل عددهم بل واكثر من ذلك يكتسب نضالهم نوعية جديدة. والتحول الرئيسي في دور الفلاحين الاجتماعي يتمثل في تحولهم من قوة معادية للاقطاع وملكية الارض الكبيرة الى قوة معادية للاحتكار وذلك للسيطرة الرأسمالية الاحتكارية المتزايدة على الانتاج الزراعي ونمو الاستغلال المباشر وغير المباشر الذي تمارسه المدينة على الريف عن طريق القروض والتسهيلات التقنية والاسمدة وتسويق الانتاج .

يتيح توجه الفلاحين الجديد نوعياً امكانات اكبر للطبقة العاملة كي تمارس دورها القيادي في النضال ضد الاحتكارات .والرأسمالية ككل . ان قضية الدور القيادي للطبقة العاملة لم تكن ابداً مقصورة على تحالف العمال والفلاحين حتى في البلدان التي يسود فيها الفلاحون ويكونون نسبة عالية من السكان . فدور الطبقة العاملة القيادي اليوم يمثل رأس رمح الحركة الثورية بأسرها سواء كانت حركة تحرر وطني أو حركة معادية للفاشية أو معادية للاحتكار أو حركة معادية للامبريالية ، وذلك بشتى انواع التداخل الموجودة في هذه الحركات ، فان قضية دور الطبقة العاملة القيادي يلعب الدور الحاسم في حل المهام التي تواجه هذه الحركات .

ان نقاد الماركسية المعاصرون يستخدمون ارتفاع نسبة الذين يقومون بعمل ذهني مثل المثقفين والفنيين وغيرهم من الشغيلة ، كنقطة انطلاق لتقديم سلسلة اخرى من الحجج لنقض الدور القيادي الموضوعي للطبقة العاملة بوصفها قائد الحركة الثورية .

وبالطبع فان الدور القيادي المسند للطبقة العاملة موضوعياً وممارسة هذا الدور عملياً امران مختلفان « فالممارسة العملية لهذا الدور تعتمد على عوامل كثيرة من بينها

(*) ماركس انجلز : المختارات المجلد ٣ ص - ٤٧٨ -

عامل يرتدي اهمية حاسمة ويتمثل في ضمان سيادة الاتجاهات الثورية على الاصلاحية وأدراك العمال لمصالحهم الطبقية وتبنيهم للنظرة الماركسية ـ اللينينية العلمية للعالم . »(*)

ان نمو الاتجاهات الثورية بين العمال والطبقات والفئات الاخرى في المجتمع الرأسمالي عملية متفاوتة . فالمبادرة الثورية ، وفي حالات محددة ، يمكن ان تنطلق من فئات غير بروليتارية . الاعتراف بالدور القيادي للطبقة العاملة لا يفترض سلبية الفئات الاخرى المشاركة في النضال المعادي للاحتكار وقعودها عن العمل وافتقارها الى المبادرة ، فذلك امر لا يمت بصلة للموقف الثوري الحقيقي .

مسألة ممارسة الدور القيادي للطبقة العاملة ليست بسيطة حتى في البلدان الرأسمالية المتطورة ، حيث توجد احزاب قوية للطبقة العاملة ولكن هذه القيادة اصعب بما لا يقاس في البلدان النامية حيث البروليتاريا اضعف من الناحية العددية .

وانطلاقاً من فتوة الطبقة العاملة في البلدان النامية ، يدعوبعض اليمينيين الاحزاب الشيوعية الى الانخراط في حركة القوى التقدمية وحل نفسه باعتباره حزب مستقل للطبقة العاملة . وصحيح ان التعاون بين حزب الطبقة العاملة والحركات التقدمية والديمقراطية ضروري جداً لكنه لا يمكن التضحية مهما كانت الظروف ، بالحق في النضال ضد ضيق افق حركات ثورية ديمقراطية برجوازية صغيرة ، ومن اجل تحقيق القيادة الطبقية والسياسية للطبقة العاملة .

لقد حققت الحركة العمالية المعاصرة نجاحات هامة ، وفي الوقت نفسه يجب الا نغض النظر عن ان العمال في نضالهم ضد البرجوازية قد عانوا الاخفاقات والهزائم في بلدان عديدة ، وان القوى الرجعية تنجح تارة هنا وتارة هناك في الخروج ظافرة مؤقتاً في الصراع الطبقي . ومن الضروري الوقوف على اسباب الهزائم واهم هذه الاسباب هي الصعوبات الاستثنائية التي يتوجب على الطبقة العاملة ان تخوض النضال في ظلها في البلدان الرأسمالية ، فمن المعروف ان عدو البروليتاريا ـ

(*) هوغو فازيو ـ الثقافة الجديدة ـ العدد ١٢٥ تشرين الاول ١٩٨٠ ص ـ ٤٦ ـ

البرجوازية هوعدوغني ومنظم بشكل جيد الى جانب هذا يمتلك جهاز دولة ، جهازاً للقمع والتأثير الايديولوجي على الجماهير » ولكن السبب الرئيسي لهزائم الطبقة العاملة وظروف نجاحات الرجعية هوانقسام الحركة العمالية ، والذي يتحمل مسؤوليته الانتهازيون على اختلاف الوانهم »(*) ومن المعروف ايضاً ان البرجوازية تسعى بكل السبل الى المحافظة على الانشقاق في صفوف الطبقة العاملة وتعميقه بهدف اضعاف وشل فعاليتها الثورية .

في ظروف الرأسمالية المعاصرة تكتسب مسألة التغلب على الانشقاق في حركة الطبقة العاملة اهمية بالغة ، فذلك هومقدمة الضرورية لشن نضال حازم وناجح ضد الاحتكارات . والاحزاب الشيوعية في بريطانيا وفرنسا وايطاليا وغيرها من البلدان الرأسمالية تنظر الى تحقيق وحدة الطبقة العاملة باعتبارها اهم مهماتها الانية ، ولذا فان الشيوعيين اذ يناضلون من اجل الوحدة ينطلقون ليس من مصالح الحزبية الضيقة كما يحاول القادة الاشتراكيون الديمقراطيون تصوير ذلك ، وانما من مصالح الطبقة العاملة ، مصالح الشغيلة ويضمنها مصالح اولئك الذين ينتمون الى المنظمات والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ذاتها . انه نضال من اجل مصالح العملية الثورية بشكل عام ، ضد سيطرة الاحتكارات ومن اجل التغييرات الديمقراطية ومن اجل السلم والتقدم الاجتماعي والاشتراكية .

والنضال من اجل وحدة الطبقة العاملة في البلدان النامية ، ومن اجل اقامة جبهة موحدة معادية للاستعمار ، هو جزء مكون وهام من النضال الطبقي والوطني ضد الامبريالية .

(*) الفانا سبيف ـ في الشيوعية العلمية الجزء الاول ص ـ ١٢٠ ـ ١٩٧٩ دار الفارابي .

الفصل الثاني

مفهوم العصر ـ محتوى العصر الراهن

ظهرت الاشتراكية العلمية في ظروف الرأسمالية المتطورة ، وقبل ان تبلغ مرحلتها العليا ، اي الامبريالية .

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين طرأت على الظروف التاريخية تطورات عميقة ، فقد اخلت المكان رأسمالية التنافس وبلغ النظام الرأسمالي العالمي مرحلته العليا : الامبريالية . وجلبت هذه المرحلة من تطور الرأسمالية معها تناقضات اقتصادية ـ اجتماعية بلغت درجات ناضجة من الحدة ليس لها مثيل من قبل ، ومع ازدياد حدة الصراع الطبقي في المجتمعات الرأسمالية الاستغلالية ، حلت مرحلة العواصف الثورية والانقلابات الاجتماعية الكبرى . ومقابل أزدياد ضراوة البرجوازية في نهب بروليتاريا بلدانها واستعبادها لملايين من البشر في مختلف القارات نمت واتسعت الحركة العمالية الثورية في مختلف البلدان الرأسمالية . ودخلت على هذه الحركة تطورات جذرية ، وشهدت تغييرات عميقة هي الاخرى . فقد انفصلت احزاب الاممية الثانية عن الحركة العمالية الثورية نتيجة مواقفها الانتهازية في تأييد برجوازيات بلدانها في حروبها الاستعمارية ، وظهرت الى الوجود الاحزاب الماركسية ـ اللينينية وتأسست الاممية الثالثة التي قادت نضال البروليتاريا الثوري في مختلف الدول الرأسمالية . ومع بدايات القرن العشرين انتقل مركز ثقل الحركة الثورية من بلدان اوروبا الرأسمالية المتطورة الى روسيا القيصرية ، اضعف الحلقات في سلسلة النظام الرأسمالي العالمي . وتحت قياة حزب البلاشفة ولينين دشنت البروليتاريا الروسية فجر العصر الجديد بقيام ثورة اكتوبر العظمى المظفرة ونجاحها في الاطاحة النهائية بسلطة البرجوازية والاقطاع واقامتها سلطة الطبقة العاملة : ديكتاتورية البورليتاريا .

ولهذا فان ثورة اكتوبر الاشتراكية تعد بداية عصرنا الراهن . عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على النطاق العالمي . وبقيام دولة العمال والفلاحين في روسيا ظهر العصر الذي تنبأ به ماركس واطلق عليه عصر التاريخ الانساني مقابل عصور ما قبل التاريخ التي شهدتها مختلف عصور الاستغلال والاضطهاد الطبقي .

فما هو مفهوم العصر ؟

ان مفهوم « عصر » يضم مختلف الظواهر في تاريخ البشرية مؤكداً قبل كل شيء على ما هو اساسي وعام ومميز ، أي ما هو جوهري ويشكل لُب العملية التاريخية . اراد لينين ان يقوم الثوريون بتحديد ما هو « مميز » في كل عصر ، وحقبة تاريخية ، وما هو غير « مميز » لان العثور على ما هو مميز ، أي الاساسي والجوهري في الظاهرة التاريخية يعني تحديد الاتجاه السائد في تطور البشرية خلال مرحلة معينة ، والاشارة الى الطبقة التي تحمل هذا الاتجاه وتعبر عنه وتناضل من اجل سيادته . كل ما سلف ضروري لتحديد العصر التاريخي المعين . كتب لينين اننا لا نستطيع ان نعرف باية سرعة وبأي نجاح ستتطور الحركات التاريخية المنفردة في عصر معين . لكننا نستطيع ان نعرف ونعرف بالفعل اية طبقة تقف في مركز هذا العصر أو ذاك محددة محتواه واتجاه تطوره الرئيسي والخصائص الاساسية للوضع التاريخي المحدد .

ان مفهوم العصر اوسع من مفهوم « حقبة » . فالمقصود من حقبة تاريخية الاشارة الى ما هو جوهري خلال فترة محددة في وضع تاريخي ، أي ان الحقبة هي جزء من العصر . ويمكن تقسيم كل عصر الى مجموعة من الحقبات بالارتباط مع جملة التطورات الجوهرية لكن الانتقالية بين مرحلة واخرى في العصر المعين . ولهذا يمكن تقسيم عصرنا الراهن منذ بدايته الى عدة حقبات . الحقبة الاولى امتدت من انتصار ثورة اكتوبر الى قيام النظام الاشتراكي العالمي عقب الحرب العالمية الثانية . وتميزت هذه الحقبة بانتصار الاشتراكية في بلد واحد ، كان محاصراً من الامبريالية . والحقبة الثانية بدأت مع بداية ظهور النظام الاشتراكي العالمي كقوة دولية كبيرة تحدد مصائر التطور البشري . اما الحقبة الراهنة في عصر الانتقال من الرأسمالية الى

الاشتراكية ، فهي انتصار بناء الاشتراكية وتوطيد مواقعها وبدء حقبة بناء الشيوعية .

طابع العصر الراهن

لم تعد الاشتراكية علماً أو مجرد نظرية . انها الان واقع ماثل ومجتمع حقيقي قائم يشيد على مساحات واسعة من الكرة الارضية . فقد ترسخت الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وبقية البلدان الاشتراكية ، وبذلك اضحى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية هو طريق تطور البشرية جمعاء . فالعصر الذي نعيش فيه هو عصر تحرك البشرية نحو المستقبل الشيوعي .

وبالطبع من الخطأ فهم التطور التقدمي للمجتمع على انه عملية تتم في وقت واحد ، وباشكال واحدة ، ووتيرة يمكن قياسها سلفاً ، فليس الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية عملية تجري مرة واحدة يستبدل فيها نظام بنظام آخر في جميع بلدان العالم . فنتيجة لاختلاف الظروف الداخلية لتطور كل بلد وظروفه الخارجية ، فان الانتقال من نظام اجتماعي - اقتصادي الى آخر يتم في البلدان المختلفة في اوقات مختلفة ، ولذا فان المجتمع ككل وفي كل مرحلة معينة من مراحل تطوره يمثل لوحة شديدة التعقيد من التشابك والتفاعل والصراع بين مختلف الانظمة الاجتماعية - الاقتصادية ومختلف الطبقات والفئات والامم والدول .

ولنأخذ البشرية في عصرنا الراهن ، سوف نجد ان ثلثها يبني الاشتراكية والشيوعية في حين ما زال ثلثاها الاخران يعيشان في بلدان غير اشتراكية . وتوجد بين البلدان غير الاشتراكية بلدان رأسمالية متطورة وتوجد بلدان لا تزال في مرحلة ما قبل الرأسمالية كما هو حال بعض بلدان افريقيا . كما لا يزال يعيش ملايين البشر تحت النير الكولنيالي . وفي العديد من البلدان تسود انماط اقتصادية مختلطة في آسيا وافريقيا وتختلف مساهمة كل قطاع من قطاعات اقتصاد هذا البلد أو ذاك في الدخل القومي فيه . كما يختلف في كل بلد طابع الصراع الطبقي ، تبعاً لطبيعة اصطفاف القوى الطبقية ، وحجم ودور كل طبقة اضافة الى التأثيرات الخارجية ودور التراث

المحلي والتقاليد السائدة ، التي تصبغ عملية الصراع بصبغة « محلية » .

ان كل هذا لا يغير في واقع ان البشرية في عصرنا الراهن تتجه في نضالها قدماً والى الامام نحو التقدم الاجتماعي والاشتراكية ، وتجري هذه العملية بالطبع في اطار صراع طبقي حاد على مستوى كل دولة أو بلد ، وعلى المستوى الدولي بين النظام الاشتراكي العالمي وحركة التحرر الوطني العالمية والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية من ناحية ، والامبريالية من ناحية اخرى .

وليست العملية الثورية العالمية ، بأي حال من الاحوال ، مجرد المجموع الحسابي الكلي لثورات متماثلة ونموذجية . ذلك انها تمر عبر أطوار انتقالية محددة ولكل طور ملامحه الخاصة به . كما ان هذه الاطوار تشكل بمجموعها كلاً واحداً اساسياً ، يصب في المجرى الواحد لعملية الثورة العالمية السائرة قدماً في الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق عالمي . ومع ذلك نجد تنوعاً في اطار الوحدة الثورية هذه . وتغتني كل ثورة بتجارب الثورات السابقة وتواجه اشكال جديدة ايضاً من المقاومة الرجعية المستفيدة هي الاخرى من خبرة الرجعيات التي تم الانتصار عليها . وتلجأ الرأسمالية على المستوى العام ، وفيما يتعلق بكل بلد ، الى استخدام اساليب مختلفة في اوقات مختلفة من اجل اعاقة عملية التحول الثوري العام ، التي تطبع عصرنا بطابعها المميز .

ان العالم لم يعد كما كان قبل نصف قرن ونيف في اعقاب انتصار ثورة اكتوبر الكبرى . فقد طرأت تغييرات عميقة فيه ، وايضاً على العملية الثورية ذاتها .

حققت الاشتراكية والشيوعية انتصارات كبيرة وعظيمة ، ووطدت اقدامها والهبت الارض ليس فقط في البلدان المستعمرة والتابعة للامبريالية سابقاً ، بل وايضاً اتاحت فرص تاريخية لنمو وتعزيز دور الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ذاتها ، وفي اطار حركات التحرر الوطني ، اذ ينمو دور الطبقة العاملة واحزابها وتغتني دوماً بخبرات جديدة ، وتحقق الانتصارات في عدد من البلدان التي انسلخت نهائياً من النظام الرأسمالي العالمي وبدأت مسيرة بناء الاشتراكية . وقد كدست حركات التحرر الوطني انتصارات ضخمة اذ سحقت الامبراطوريات الكولونيالية الامبريالية ، وحققت غالبية بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الاستقلال

السياسي لها ، وهي تناضل في ظروف معقدة ، ضد الاستعمار الجديد ، من اجل التقدم الاجتماعي والاشتراكية .

وتستمر الحركة الشيوعية العالمية في النمو ويحتل اعضاؤ ها موقع الطليعة الثورية للبشرية ، وهي تدل البشرية على طريق الخروج من الحلقة المفرغة لتناحرات النظام الرأسمالي والاشكال الجديدة للعبودية التي صنتعها في البلدان النامية .

ونتيجة لكل ما سلف طرأ تغيير اساسي على الترابط بين قوى الطبقة العاملة العالمية وحركات التحرر ، والبرجوازية العالمية .

ان بناء مجتمع جديد في البلدان الاشتراكة ، وحركة التحرر الوطني التي تجهد في البحث عن اشكال تقدمية للتطور ونضال الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة من اجل تحقيق تغييرات ثورية ، اضافة الى المجابهة بين النظامين الاجتماعيين (الاشتراكي والرأسمالي) كل ذلك يشكل عناصر لعملية واحدة هي الثورة العالمية ، التي تطبع العصر بطابعها ، وتشكل محتواه الاساسي .

يصاحب الطابع العالمي للعملية الثورية تزايد في التمايز . فالتطورات تتم في ظروف مختلفة بين بلد وآخر . وبين كل مجموعة بلدان ومجموعة اخرى ، وكل مجموعة من البلدان تقف عند مراحل متفاوتة بالنسبة للخط الثوري المشترك لحركة التطور . فهناك فوارق محددة ، وعلينا ان نتوقع نتائج ذات اشكال مختلفة ، لان الثورة العالمية ليست ناتج كمي لكل الثورات .

ان التبسيط في تحليل وفهم طابع العصر ومحتواه الاساسي ، خطأ سبق ان حذر منه لينين ، فالثورة الاشتراكية لا تسير وفق خط مستقيم ، بل عبر تعرجات ، ذلك لان المنعطفات الحادة وكذلك التراجعات من الامور الواردة ، أو بالاحرى الحتمية . قال لينين « ان اعتبار التاريخي العالمي يسير بهدوء ويتجه دائماً الى الامام ، مثل هذه النظرة خاطئة ديالكتيكياً ـ وعلمياً من الناحية النظرية ، علينا ان ندرك ان الاحتمال قائم لوثبات متراجعة ضخمة في بعض الاحيان . » . كان لينين يهزأ من الافكار المجردة غير العملية البرجوازية الصغيرة ، النابتة في تربة مثقفين مولعين بالتأمل المجرد، فالثوري الذي لا يوافق على الثورة البروليتارية الا بشروط منها ان تتقدم الثورة بسهولة وهدوء ، دون انكسارات احياناً ، ويشترط مساهمة

البر وليتاريا فيها في كل البلدان في آن واحد ، مع توفير الضمانات ضد الهزائم ، والثوري الذي يرى ان الطريق معبدة وعريضة خالية ومستقيمة ، وانه من غير الضروري اثناء المسيرة نحو النصر ان تتعرض الثورة لافدح الخسائر ، وان يتحمل المرء الحصار في خندقه لفترة ما ، أون ان يكون هذا الثوري قد ضيق طريق مسيرته الطويلة وجعل منه طريقاً لا يمكن اجتيازه ، طريقاً متعرجاً مليئاً بالممرات الوعرة الخطرة ، ان مثل هذا الطراز من الثوري ليس ثورياً ، كما يقول لينين ، لانه لم يحرر نفسه من اوهام المثقفين البرجوازيين(*) .

ان مجرى الثورة الاشتراكية العالمية معقد ، من واقع ان انتشار لهيبها يتم وسط ظروف معقدة فكرية ـ ثقافية ـ سياسية ـ اجتماعية ـ اقتصادية على درجات عالية من التنوع . ويمكن ان نصف ما يجري على النطاق الدولي في عصرنا الراهن في اطار العملية الثورية ، بأنه تأليف من اتجاهات ثورية تختلف بعض الشيء من حيث طابع كل فصيل فيها . فثورة البر وليتاريا الاشتراكية لا تتكون من ثورات اشتراكية صرفة فقط ، فالى جانبها تقف العديد من حركات التحرر الوطني والحركات الديمقراطية ، التي تنهج نحو الاهداف الاشتراكية بشكل مباشر .

وبوجه عام تتطور هذه الحركات في ظروف الازمة العامة للرأسمالية لذلك فهي موضوعياً تخدم عملية نسف القواعد الاساسية للرأسمالية العالمية . وتلعب سيطرة الطبقة العاملة العالمية في عملية الثورة العالمية دورها في التأثير على طابع هذه الحركات وتطلعاتها لتشكل جزء من الجبهة المشتركة للقوى المناهضة للامبريالية . هذا من جانب ومن جانب آخر فان اطراف هذه الحركات تتشكل من اشباه البر وليتاريا ومن عناصر الفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، وتحمل هذه الكتلة غير البر وليتارية الى الثورة ـ كما يقول لينين ـ كل احكامها المسبقة وكل تذبذبها وعدم ثباتها ، فقدان الصبر وعدم التصميم ، الميل نحو الاعمال المغامرة ، الاتجاهات القومية الضيقة .

(*) انظر : لينين المؤلفات الكاملة بالروسية المجلد ٢٢ ص ـ ٣١٠ ـ

ان فقدان المثابرة في الكفاح السياسي وغيره عند حركات اشباه البر وليتاريا والبورجوازية الصغيرة ، يؤدي الى خلق التناقضات في تطور الثورة الاشتراكية العالمية . والشرط الرئيسي للتغلب على هذه التناقضات يكمن في ضمان سيطرة الطبقة العاملة في العملية الثورية ولكي تتحقق قيادة البر وليتاريا لا بد ان يكون الشعب قد كدس تجربته السياسية . وعندما تكون التجربة السياسية غير كافية بالاضافة الى كون البر وليتاريا قليلة العدد وضعيفة ، فان هذه التناقضات تتفجر الى العلن احياناً ، وتعرقل المسيرة الثورية وفي بعض الاحيان يمكن ان تشوه المكاسب التي سبق وتحققت وتلحق بها الاخطار(*) .

تشويهات برجوازية لمفهوم العصر

ان ايديولوجي البرجوازية التي تغادر مسرح التاريخ على النطاق العالمي ، يبذلون قصارى جهودهم لترسيخ مفاهيم رجعية بصدد طبيعة ومحتوى عصرنا الراهن .

البعض من هؤلاء يعلن انه لا يمكن تحديد طابع عصرنا ولا محتواه . اذ ـ حسب هؤلاء ـ لا يمكن معرفة الى اين تتجه البشرية في مسيرة تطورها . البعض الأخر يقول إنه وسط الارتباك والاختلاط في عالمنا فاننا لا نستطيع تحديد اية سمة اساسية من سماته . وتحاول طائفة اخرى من علماء الاجتماع البرجوازيون البرهنة بان طابع العصر يتحدد بالاكتشافات التكنيكية والعلمية . ويضع هؤلاء في تحديدهم لطابع عصرنا مفاهيم عديدة ذات مستوى واحدة . فيطلقون تسميات « عصر التكنيك » و« عصر الذرة » و« عصر الفضاء » . . الخ ذلك من تسميات تنبع من التطور العلمي . وتقوم اجهزة الاعلام الامبريالية بضخ هذه المفاهيم على نطاق واسع في محاولة لتحويلها الى مسلمات غير قابلة للنقاش في اذهان الملايين . وتدخل في باب المفاهيم البرجوازية الرجعية والمضللة حول طابع عصرنا تقسيم العالم الى « شمال وجنوب » « دول غنية ودول فقيرة» وتهدف جميع هذه الافكار الى طمس طابع

(*) انظر : ي . كرازن . ديالكتيك العملية الثورية ص ـ ٢٤ ـ ٢٥

التناقض الاساسي في عصرنا بين الاشتراكية والرأسمالية . فحتى يقال ان العالم منقسم الى شمال غني وجنوب فقر ، يراد من ذلك وضع البلدان الاشتراكية في خانة الدول الامبريالية باعتبارها بلدان غنية تقف في مواجهة « الدول الفقيرة » حالها حال الامبريالية العالمية !

وفي بعض الاحيان تجد هذه المفاهيم البرجوازية من يؤيدها في بلدان « العالم الثالث » خاصة حركات برجوازية يمينية في آسيا وافريقيا .

ان التكنيك والتقدم العلمي يلعبان دوراً هاماً في التطور الاجتماعي في ظروف الثورة العلمية التكنيكية الراهنة . لكن هذا لا يكفي للقول ان التكنيك هو الذي يحدد سمة العصر الاساسية . فلدى تقدير دور التكنيك ينبغي ان نتذكر بان تأثيره على المجرى التاريخي لا يبرز بذاته وبشكل مستقل ، وانما من خلال النظام المعقد لعلاقات الانتاج السائدة في المجتمع . فهذه العلاقات بالضبط ، والقوى الطبقية التي تقف وراءها هي التي يجب ان تؤخذ بالحسبان قبل كل شيء لدى تحليل العصر الراهن .

ان الماركسية ـ اللينينية وحدها اثبتت انها في وضع يمكنها من اكتشاف طابع العصر الراهن . وان محتوى العصر الجديد الذي بدأ في التاريخ العالمي هو كما قال لينين « تحطيم الرأسمالية ومخلفاتها واقامة اسس النظام الشيوعي » .

ان التحديد اللينيني للعصر الراهن كان قد طوّر فيما بعد بصورة شاملة في اجتماع موسكو لممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية (تشرين الثاني ١٩٦٠) وفي برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي وكذلك في اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمية عام ١٩٦٩ .

جاء في برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي ، في مؤتمره الخامس والعشرون « ان العصر الراهن الذي يشكل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية محتواه الاساسي هو عصر النضال بين نظامين اجتماعيين متضادين ، عصر الثورات الاشتراكية والوطنية التحررية ، عصر انهيار الاستعمار وتصفية نظام الحكم الاستعماري ، عصر انتقال شعوب جديدة وجديدة الى طريق الاشتراكية ، عصر انتصار الاشتراكية والشيوعية على الصعيد العالمي ، وفي مركز العصر تقف الطبقة العاملة ووليدها

الرئيسي النظام الاشتراكي العالمي » .

وفي بيان الاحزاب الشيوعية والعمالية الصادر عن اجتماعها في ١٩٦٠ أشير الى ان المحتوى الاساسي للعصر هو الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وقال البيان ان تحول المنظومة الاشتراكية العالمية الى عامل حاسم في تطور المجتمع البشري هو سمة العصر الرئيسية المميزة .

وجرى اغناء وتطوير المفهوم اللينيني للعصر في اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ . وكانت احد المهام الاساسية لهذا المؤتمر تتعلق بتقييم الامبريالية في المرحلة الراهنة . وتوصل ٧٥ حزباً شيوعياً وعمالياً الى استنتاجات موحدة بصدد جميع قضايا عصرنا الملحة . فأشير في وثائق الاجتماع الى تعمق التناقضات التي لا يمكن تجاوزها والتي تنهش الرأسمالية . وعلى الرغم من ان الامبريالية كنظام عالمي ليس لديها افق لان تصبح اكثر قوة فانها ستبقى خصم جدي وخطير . ومما له مغزى هاماً هو التحديد الذي جرى لخصائص الرأسمالية التي نشأت في اعوام ما بعد اجتماع ١٩٦٠ للاحزاب الشيوعية والعمالية . وذكر الاجتماع ان وحدة عمل البلدان الاشتراكية هو حجر الزاوية والعامل الحاسم في ردع الامبريالية وتطوير الثورة في بلدان حركات التحرر الوطني وتعميق مسيرة الثورة العالمية واحراز نجاحات اضافية .

التناقض الاساسي للعصر الراهن

تقف قوى الاشتراكية العالمية في مواجهة قوى الرأسمالية العالمية . ويشكل التناقض بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين التناقض الاساسي للعصر الراهن .

ولا بد من الاشارة الى ان التناقض بين العمل والرأسمال ، بالدرجة الاولى ، بين الطبقة العاملة والبرجوازية كان وما يزال التناقض الطبقي الاساسي للنظام الرأسمالي . فالتناقض بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين هو استمرار للتناقض بين العمل والرأسمال ، بين البروليتاريا والبرجوازية . وفي هذا بالذات يكمن الجوهر الطبقي أي السمة المميزة الاكثر اهمية للتناقض الاساسي لعصرنا .

يمارس التناقض بين الاشتراكية والامبريالية تأثيراً هائلاً على مجمل سير التطور

العالمي . ولا ينتقص من واقع تأثير ودور الطبقة العاملة العالمية في عصرنا ، وجود مجموعة كبيرة من الدول التي تحررت من النير الاستعماري ولم تحدد بعد طريقها بوضوح كاف ، بل ان هذا يدعم الاستنتاج حول شمولية التناقض الاساسي للعصر . فالشعوب المضطهدة والتي تحررت من النير الاستعماري تمارس دوراً ايجابياً في الصراع العام المعادي للامبريالية . وهي تشق طريقها على اساس التناقض مع الرأسمالية العالمية وفي اطار صراع ضار ضد اشكال الاستعمار القديمة والجديدة .

ويرتدي التناقض بين النظامين الاجتماعيين المتعارضين طابعاً متحركاً ديناميكياً ، وبمقدار ما يتقدم الزمن بمقدار ما يتغير تناسب القوى على الصعيد العالمي لصالح قوى الاشتراكية وبما يلحق الضرر ويقلص من نفوذ الامبريالية على الساحة الدولية . ان تغير تناسب القوى لصالح معسكر الثورة العالمية يستلزم توطد وتطور النظام الاشتراكي العالمي وازدياد جبروته الاقتصادي والسياسي والعسكري ، ونهوض الحركة الشيوعية والعمالية العالمية وايضاً نهوض حركة التحرر الوطني وتوجيهها ضربات موجعة للامبريالية في بقاع عديدة من العالم . ويساهم في النضال العالمي ضد الامبريالية الحركات الديمقراطية الجماهيرية المعادية للحرب وسباق التسلح والنزعات الامبريالية العدوانية . ان تغير التناسب في القوى لصالح الاشتراكية قد حول الاشتراكية الى مركز جاذبية لجميع القوى الثورية للعصر الراهن . فجميع القوى الثورية في عصرنا تجد اعظم قاعدة مادية وسياسية وروحية في النظام الاشتراكي تستند اليها في كفاحها ضد الامبريالية وفي سبيل السلم والاشتراكية والتقدم الاجتماعي .

ان القوى المناضلة ضد الامبريالية وبالدرجة الاولى نظام الاشتراكية العالمي ، هي التي تحدد اليوم الاتجاه الرئيسي والمحتوى الاساسي والميزات الجذرية للعملية الثورية العالمية .

وينعكس هذا الطابع الهام لعصرنا ، في انه لا يمكن حل اية مشكلة ملحة في عصرنا ، بعيدا عن المشاركة الفعالة من جانب النظام الاشتراكي العالمي . ولنا في الشرق الاوسط مثال ملموس وهي : على هذه الحقيقة . فقد بذلك الامبريالية الاميركية والامبرياليات الاخرى في اطار هجومها الشرس على حركة التحرر

الوطني العربية وبالاستناد الى التحالف غير المقدس مع الصهيونية ، بذلت الكثير والكثير ووضعت عشرات المخططات العدوانية ولجأت الى استخدام القوة المباشرة أو رعاية مبدأ القوة من خلال اداتها اسرائيل ، كل ذلك في سبيل حل مشكلة الشرق الاوسط بما يتناقض مع مصالح الشعوب العربية وبالاساس مصالح الشعب العربي الفلسطيني الذي تعرض لحيف وجرائم الامبريالية والصهيونية البربرية . لكن كل اساليب العدوان الامبريالية لم تنجح لا في ثني الشعب الفلسطيني والشعوب العربية عن الكفاح ضد الامبريالية ولا في اخضاعها للهيمنة الامبريالية العسكرية والسياسية . وما كان ذلك ممكناً دون الدعم الهائل والنزيه الذي قدمه المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي خصوصاً لكفاح الشعوب العربية وحركتها التحررية . ان كل الدلائل تؤكد ان الامبريالية عاجزة عن تقديم حل عادل وشامل لازمة الشرق الاوسط يضمن حقوق الشعب العربي الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى وذلك يعني عدم توقف الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية هذا الكفاح الذي لا بد ان يكلل بالنصر النهائي ما دام يستند الى القوة الاساسية في عصرنا المعسكر الاشتراكي وطليعته الاتحاد السوفياتي .

ان عمر النظام الاشتراكي العالمي ليس بالكبير ولكنه ينمو بسرعة ويتطور وتتضاعف قواه . فبينما كان النظام الاشتراكي عشية الحرب العالمية الثانية يشغل ١٧٪ من مساحة اليابسة ، فانه يشغل الان ٢٦٪ وبينما كانت نفوسه تبلغ حوالي ٩٪ من سكان العالم فان نفوسه الان تزيد على ٣٥٪ من هؤلاء السكان . ويضم النظام الاشتراكي العالمي اليوم (١٤) دولة كبيرة وصغيرة تمتد على مساحات شاسعة من اوروبا واسيا وامريكا اللاتينية . واليوم في عصر التنامي المستمر لقوى الاشتراكية فان طريق الاشتراكية مفتوح لكل بلد ، بصرف النظر عن مستوى تطوره وموقعه الجغرافي وحجم اراضيه وعدد سكانه . وان شعوب العديد من بلدان آسيا وافريقيا المتحررة من نير العبودية والاستعمار تعلن عزمها على السير في طريق التقدم ، طريق الاشتراكية . لقد مضى الى غير رجعة ، الزمن الذي كان فيه الاستعمار السيد المطلق على الارض . واليوم لم يعد الاستعمار هو الذي يحدد طابع العصر ومحتواه ، بل القوى التي تناضل ضد الامبريالية . ومركز هذه القوى

الاشتراكية العالمية تحدد الاتجاه الرئيسي والمحتوى الجوهري للتطور العالمي . وتحت ضغط الاشتراكية العالمية يتحطم وينهار النظام الاجتماعي الرأسمالي الذي كان قوياً يوماً ما ، وربما ليس بالسرعة التي نرغب فيها ، ولكن بصورة دائبة ، وهو يزول ليحل محله نظام يحمل لجميع الشعوب على الارض السلم والعمل والحرية والمساواة والاخوة والسعادة(*) .

وليس من شك في ان هذا لا يقلل من اهمية رؤية واقع ان الامبريالية ما زالت قوة كبيرة معادية للتقدم والاشتراكية وانها تملك امكانيات واسعة تستخدمها في النضال ضد الاشتراكية وحركات التحرر الوطني في محاولة لايقاف عملية التطور وشدها للوراء .

ويجب ان نلاحظ انه بالمقدار الذي تزداد فيه ازمة الرأسمالية العالمية عمقاً ، تنمو النزعات العدوانية وتأخذ ابعاداً اخطر ويجري تعريض السلم العالمي لاخطار فادحة ، من خلال قيام الامبريالية بتصعيد سباق التسلح والتدخل في شؤون الشعوب الاخرى .

ان الاخطار التي تثيرها السياسة الامبريالية المنطلقة من مبدأ استخدام القوة ، ونزعتها المجنونة للتفوق على النظام الاشتراكي تعكي في الواقع ، في احد اهم جوانبها تردي الامبريالية في ازماتها .

وقد توصلت الاحزاب الشيوعية والعمالية وحركة التحرر الى استنتاجات ذات اهمية فائقة ، وهي ان النضال ضد الامبريالية يتلازم مع النضال من اجل صيانة السلم العالمي ولجم سياسة العدوان ، وان لدى الاشتراكية من القوى ما هو كفيل بمنع الامبريالية من تدمير كوكبنا في حرب نووية . من هنا فان تشديد النضال من اجل سيادة مبدأ « التعايش السلمي » في العلاقات بين النظامين الاجتماعيين ، ولجم الامبريالية ، ينسجم تمام الانسجام مع خط تطور الثورة العالمية وتطور جميع روافدها الاساسية . وتشير التجربة الغنية للحركة الثورية العالمية الى انه رغم

(*) انظر : افانا سييف : في الشيوعية العلمية ـ الجزء الاول ـ دار الفارابي ١٩٧٩ ـ ص ـ ٨٢ ـ

ابتعاد الامبريالية عن طريق « التعايش السلمي » فأن الظروف الموضوعية والذاتية مهيأة ايضاً لتحقيق انتصارات جديدة ضد الامبريالية على مختلف الصعد : تعزيز بناء الاشتراكية والشيوعية في البلدان الاشتراكية وتنامي جبروت المعسكر الاشتراكي الاقتصادي والعسكري ، وتحقيق انتصارات هنا وهناك ، في مختلف بقاع الارض ، ضد الامبريالية ومن قبل الشعوب وحركاتها التحررية .

ان الامبريالية تقف عاجزة الان عن تغيير طابع العصر الراهن وسمته الاساسية ، فهذا الطابع والمستوى اكتسب درجة عالية من الرسوخ والمناعة ، ولا يمكن لكائن ما ، ان يتصور عودة البشرية الى الوراء في مطلق الاحوال .

الفصل الثالث

القوانين العامة للثورة الاشتراكية

جلبت الرأسمالية تطوراً عاصفاً للقوى المنتجة ، اذ خلقت تطوراً اقتصادياً حطم في طريقه كل الحواجز الاقطاعية وشكل اقتصاداً عالمياً . وقد نشرت الرأسمالية نظام الاستغلال في كل العالم وجعلته مرهقاً بشكل خاص للجزء الاعظم من الشعوب التي اصبحت مستعمرة . وكان التطور السريع للقوى المنتجة قد تولد من علاقات الانتاج الرأسمالية التي ولدت دافعاً لتطوير الانتاج بحثاً عن الارباح . وفي السباق من اجل تحقيق المزيد والمزيد من الارباح . طورت الرأسمالية التكنيك وحسنت تكنولوجيا الصناعة والزراعة . ولكن علاقات الانتاج الرأسمالية ، لم تسبب فقط تطوراً لا سابق له في تاريخ البشرية فحسب ، وانما ولدت ايضاً قوى منتجة وضعت النظام الرأسمالي على حافة القبر : لقد اكتشف ماركس وانجلز التناقض الاساسي والمميت في الرأسمالية . التناقض بين الطابع الاجتماعي للانتاج والشكل الرأسمالي الخاص للملكية الفردية . تساهم ملايين الشغيلة في الانتاج في الرأسمالية ، تعمل في مؤسسات ضخمة ـ ممركزة ، اما نتاج كدح هذه الملايين فتستحوذ عليه حفنة صغيرة من كبار البرجوازيين .

هذا التناقض الذي هو تعبير عن التناقض بين القوى المنتجة (العمال والشغيلة) وعلاقات الانتاج (الملكية الخاصة) يولد الازمات والبطالة ويثير صراعاً طبقياً تناحرياً لا مهادنة فيه بين البروليتاريا والبرجوازية ونتيجة هذا الصراع الطبقي تنشب الثورة الاشتراكية اذ يجري استبدال الرأسمالية بالاشتراكية بالاساليب الثورية .

فالثورة الاشتراكية تستند الى اساس اقتصادي محدد ، هو طابع التناقض العميق في الانتاج الرأسمالي ، ولهذا فالثورة ضرورة تاريخية . وهذه الضرورة تنبع من

حاجات تطور الانتاج نفسها ، اذ تصيف علاقات الانتاج الرأسمالية القائمة على الملكية الخاصة ، فطبيعة الانتاج الاجتماعية نفسها تستلزم تصفية الملكية الرأسمالية الخاصة وتثبيت الملكية الاجتماعية الجماعية .

ان الرأسمالية مجتمع تطور بصورة عفوية ، بفعل القوانين الاقتصادية الاجتماعية العمياء ، اما الاشتراكية فانها مجتمع يدار بصورة واعية . ومن الطبيعي ان الاشتراكية لا يمكن ان تشاد دون تغيرات جذرية لجميع نواحي الحياة الاجتماعية .

ولا بد من الاشارة الى ان اجراء عملية التحولات الجذرية تتعرض لمقاومة ضارية من قبل الطبقات التي اطيح بسلطتها وفي مقدمتها البرجوازية . ومن اجل التغلب على مقاومة البرجوازية والطبقات المستغلة ولانجاز التحولات الاشتراكية في الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والحياة الروحية ولغرض وضع هذه التحولات في خدمة الانسان الكادح ، لا بد من المرور بمرحلة انتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

والمرحلة الانتقالية هي المرحلة التي تكون فيها البرجوازية مسقطه ، لكن الرأسمالية لم تصف بعد نهائياً . فعملية تصفية الرأسمالية تحتاج الى وقت وجهود واسعة تشمل جميع فروع الاقتصاد الاساسية والحياة الاجتماعية والثقافية .

فالانتاج الصغير ، كما يقول لينين ، يولد الرأسمالية كل يوم وكل ساعة . اضافة الى ان الطبقات الاستغلالية التي اطيح بها ما تزال تناضل ضد البروليتاريا كتب لينين « ان حالة الانتقال من القديم الى الجديد هي حالة نمو هذا الجديد » . ان المرحلة الانتقالية هي بالتحديد مرحلة خلق وبناء المجتمع الاشتراكي ، مرحلة الصراع بين الرأسمالية المحتضرة والاشتراكية الوليدة . (*)

(*) انظر : في الشيوعية العلمية جـ ١ ص ١٨٢

وكذلك افاناسييف : اسس الاشتراكية العلمية ص ١٠٦

وكذلك قضايا اساسية في النظرية الماركسية ـ اللينينية ص ٧٥

القوانين العامة لبناء الاشتراكية

ثبت من تجربة بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبقية البلدان الاشتراكية وجود قوانية عامة ، واحدة ، لبناء الاشتراكية في مختلف البلدان ، وبغض النظر عن كل الاعتبارات الثانوية ، المحلية ، فان هذه القوانين شاملة لا يمكن ان يتم بناء الاشتراكية في أي بلد من البلدان دون اخذها بعين الاعتبار وتطبيقها بما يتلاءم مع الظروف المحلية في البلد المعني . وهذه القوانين هي :

١ ـ دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادي للحزب الشيوعي .

٢ ـ التحولات الاقتصادية .

٣ ـ اعادة بناء العلاقات القومية .

٤ ـ الثورة الثقافية .

وقبل البدء في تبيان طابع كل قانون من هذه القوانين لا بد من التأكيد على قضية حيوية هي ان الاشكال الملموسة لعمل هذه القوانين ، وطرق تطبيقها ، قد تختلف من بلد الى آخر بتأثير عوامل عديدة منها ما يتعلق بالتقاليد الموروثة لهذا الشعب أو ذاك ، ومنها ما يتعلق بطبيعة اصطفاف القوى الطبقية ، عند اندلاع الثورة الاشتراكية وفي المراحل اللاحقة . الا ان الشكل الملموس لتطبيق هذه القوانين ، لا يؤثر بأي حال من الاحوال على مضمونها وجوهرها اذ ان محتوى هذه القوانين الاساسية يبقى كما هو في مختلف تجارب بناء الاشتراكية ولقد اكد لينين ان جميع الامم سوف تصل الى الاشتراكية ، في آخر المطاف ، لكنه من الصعب الجزم مسبقاً حول الطرق التي يمكن ان تسلكها مختلف البلدان في الوصول الى الاشتراكية . ومن هنا فان القوانين العامة لبناء الأشتراكية لها صفة ثابتة وطابع شامل ، ولا يمكن الاخلال بها والزعم في نفس الوقت ان الاشتراكية تبنى في البلد المعني . ان شدة التحويلات ، كثافتها ، مقدارما تتعرض له من مقاومة رجعية ، السرعة في انجازها ، كل ذلك لا يؤثر على القوانين العامة بل في الواقع يؤكد ضرورتها المطلقة .

هذه القوانين لا تظهر بصورة واحدة في كل البلدان ذلك لان لكل قطر يبني الاشتراكية في ظروفه الخاصة التي تختلف عن ظروف البلدان الاخرى ، مستوى

تطور الاقتصاد ـ الثقافة ـ تاريخه الخاص ـ الظروف الطبيعية ـ الثروات ـ توازن القوى الطبقية ـ الخصائص القومية ـ التكوين النفسي والتقاليد .

ان خصائص بناء الاشتراكية في هذا البلد اوذاك لا تمس الجوهر ، بل اشكال وطرق وحدة التحولات الاشتراكية ، ولذلك فانها لا تلغي القوانين العامة .

القوانين العامة والاشكال المتنوعة لبناء الاشتراكية

١ ـ دكتاتورية البروليتاريا وقيادة الحزب الشيوعي

الشرط الحاسم لبناء المجتمع الاشتراكي هو قيام ديكتاتورية البروليتاريا فهذا هو القانون الاهم لبناء الاشتراكية . اذ بدونه تفقد الثورة طابعها الطبقي ، ويمكن ان تضيع الاشتراكية الثورية في معمعان تخبط الاحزاب البرجوازية الصغيرة . فكما ان الثورة البرجوازية هي ديكتاتورية البرجوازية فان الثورة الاشتراكية هي سلطة الطبقة العاملة ، أاي ديكتاتوريتها ، وتنبثق دكتاتورية البروليتاريا نتيجة الثورة الاشتراكية الناجحة ، وعلى انقاض ماكنة الدولة البرجوازية التي يجري تحطيمها .

ودولة ألعمال والفلاحين هي طراز جديد نوعياً ، تختلف جذرياً عن جميع الدول التي شهدتها التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية الاستغلالية السابقة . فهي تختلف من حيث طبيعتها الطبقية واشكال التنظيم الحكومي والدور الذي تقوم بتنفيذه . ان ديكتاتورية البروليتاريا هي سلطة الطبقة العاملة التي تقوم بالتعاون مع جميع الشغيلة بتحطيم الرأسمالية وبناء مجتمع جديد ـ مجتمع بدون طبقات متناحرة ويخلو من استغلال الانسان لاخية الانسان .

قال لينين « يمكن وينبغي لسلطة الدولة في يد طبقة واحدة هي البروليتاريا ان تصبح اداة لاجتذاب الجماهير الكادحة غير البروليتارية الى جانب البروليتاريا اداة

لانتزاع الجماهير من البرجوازية ومن احزاب البرجوازية الصغيرة »(*) .

ان كسب جماهير الشغيلة غير البروليتارية الى جانب سلطة الطبقة العاملة عامل حيوي واساسي في امكان انتصار البروليتاريا النهائي واقامتها لدكتاتوريتها بالتحالف مع الفلاحين وبقية الشغيلة . وقد خاض لينين نضالاً فكرياً لا هوادة فيه ضد الانتهازية اليمينية واليسارية بصدد كيفية ارساء دكتاتورية البروليتاريا ومسألة كسب الفلاحين والشغيلة الى جانب العمال . وسخر من الهراء الذي يردده الاشتراكيون ـ الديمقراطيون البرجوازيون الصغار ، حول ان على البروليتاريا ان تكسب الفلاحين الى جانبها من خلال الانتخابات قبل عملية تحطيم الدولة البرجوازية . إذ ان انتزاع سلطة الدولة البرجوازية من قبل البروليتاريا وتدميرها واقامة دولة بروليتارية على انقاضها هو الخطوة الاولى ، التي بدونها لا يمكن القول انه تم الانتصار على البرجوازية . ان تحالف العمال والفلاحين ، يقام في الواقع وترسى اسسه ، في الوقت الذي تشعر وتقتنع فيه جماهير الفلاحين بالثورة . ان البروليتاريا قدمت لها كل ما تطمح اليه وما تناضل من اجله ، وبدون تحطيم سلطة الدولة البرجوازية لا يمكن بأي حال من الاحوال الحديث عن تحويلات اقتصادية ـ اجتماعية ، اوحتى تشريعية ، لصالح الشغيلة .

★ مهمات دكتاتورية البروليتاريا

هل يكفي تدمير الدولة البرجوازية ، للقول انه تم انتصار الاشتراكية ؟ كلا بالطبع . ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يمر بمرحلة انتقالية طويلة نسبياً . تكون خلالها الطبقات المستغلة (بالكسر) وفي مقدمتها البرجوازية التي حرمت من سيطرتها السياسية ـ لكنها لم تحرم بعد من كامل قوتها ونفوذها الاقتصادي والمعنوي والثقافي ـ لا يمكنها ان تقر بهزيمتها وبفقدانها لامتيازاتها الطبقية ـ ولهذا فانها تقاوم بضراوة السلطة الجديدة .

ولهذا فان دكتاتورية البروليتاريا ضرورية للقضاء على كل مقاومة تبديها

(*) لينين ـ المختارات بالعربية ـ دار التقدم ـ المجلد ٩ ص ٢٩٢

البرجوازية والرجعية وتلك هي المهمة الاولى البر وليتاريا البورليتارية . وهذه المهمة مرتبطة بالعنف الطبقي من جانب البر وليتاريا ضد المستغلين « بالكسر » ومن الهام الاشارة الى ان العنف الثوري لا يقتصر على استخدام القوة المجردة ، بل يشمل ايضاً كافة الاجراءات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي يتم بموجبها اجتثاث بقايا النفوذ الاقتصادي للبرجوازية . ان تحطيم الدولة البرجوازية ليس هدفاً بذاته . بل هو وسيلة ، والمهمة الاساسية هو اقامة الاشتراكية وقبل كل شيء بناء الاقتصاد الاشتراكي . وهذه هي المهمة الثانية التي لا تقل خطورة عن المهمة الاولى . اذ ان بناء الاقتصاد الاشتراكي مهمة معقدة وصعبة في الظروف المختلفة للامم والبلدان . وقبل ثورة اكتوبر وبقية الثورات الاشتراكية ، لم يكن هناك نماذج لبناء الاقتصاد الاشتراكي ، وقد نهض حزب البلاشفة بمهمة تاريخية كبيرة ذات مغزى بالنسبة لكافة الشعوب ، بالخبرة الغنية التي توفرت الان واصبحت في متناول الطبقة العاملة في كافة البلدان . لكن ذلك وحده لا يكفي للقول ان مهمة بناء اقتصاد اشتراكي اصبحت سهلة جداً . ذلك ان هذا البلد أو ذاك الذي يشرع في الانتقال نحو الاشتراكية يواجه ظروفاً محلية خاصة به ، أي مستوى معين من التطور الاقتصادي ، وتوفر الثروات ، والانماط الاقتصادية المختلفة ودورها في الاقتصاد الوطني ، وبالطبع فان البنية الفوقية ، تنعكس بهذه الدرجة أو تلك على امكانية حل المصاعب الاقتصادية بأقل التضحيات والاخطاء ودكتاتورية البر وليتاريا مدعوة لقيادة الحياة الاقتصادية وخلق طراز جديد من الاقتصاد هو اقتصاد الاشتراكية القائم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، وهي في عملية البناء مضطرة للدفاع عن منجزاتها ضد الاعداء الداخليين في البلاد والاستعمار الخارجي ايضاً .

وبالاضافة الى هاتين المهمتين تواجه دكتاتورية البر وليتاريا مهمات اخرى ، منها التضامن الاممي مع نضال البر وليتاريا في البلدان الاخرى وكذلك حل المشكلة القومية ، في البلدان المتعدد القوميات واشاعة الديمقراطية ، ديمقراطية من طراز جديد ، هي ديمقراطية طبيعة الغالبية العظمى من الشعب ، لا يستثنى من التمتع بها ، سوى المستغلين . وكذلك ارساء تحالف العمال والفلاحين وجميع الشغيلة مع ضمان قيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي .

ان دكتاتورية البروليتاريا تمثل مجموعه من التنظيمات الحكومية وغير الحكومية (حزبيه واجتماعية) ويقف في قلب هذه التنظيمات حزب الطبقة العاملة ، الحزب الشيوعي الذي يقود عملية بناء الاشتراكية .

ان حزب الطبقة العاملة هو الطليعة السياسية للبروليتاريا . وهو المنظم الجماعي لصفوفها . وحامل لواء مصالحها وافكارها ، وفي نفس الوقت هو قائد سلطة الدولة الاشتراكية ، ولهذا فانه لا يمكن تصور قيام دكتاتورية البروليتاريا دون قيادة حزبها الشيوعي ، فالحزب يقود عملية التحولات الاقتصادية ـ الاجتماعية ، من خلاله تجمع الطبقة العاملة بين دكتاتوريتها وبين اوسع ديمقراطية للشغيلة تطلق مبادراتها وتوجهها .

ان دكتاتورية البروليتاريا ، وقيادة الحزب الشيوعي عامل جوهري وحاسم كما رأينا لبناء الاشتراكية . والسؤال الان هل هناك شكل واحد من اشكال دكتاتورية البروليتاريا ؟

الجواب كلا لقد اظهرت تجربة بناء الاشتراكية ، وجود شكلين من اشكال دكتاتورية الطبقة العاملة . هما اولاً الشكل السوفياتي لسلطة الطبقة العاملة ، الذي انجز في ظروف بناء الاشتراكية في بلد واحد محاط ومحاصر بالاعداء من كل جانب ، وشهد حرباً اهلية ادت الى انتقال الاحزاب البرجوازية الصغيرة والاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية جميعها الى صفوف اعداء الثورة ، وبالتالي القضاء عليها نهائياً ، واقامة دكتاتورية البروليتاريا مع وجود حزب واحد في البلاد السوفيتية .

الشكل الثاني لدكتاتورية البروليتاريا ظهر في تجربة البلدان الاشتراكية الاخرى ، حيث اقيمت دكتاتورية البروليتاريا في شكل ديمقراطية شعبية تميزت بقيادة الحزب الشيوعي لسلطة الدولة والمجتمع ، ووجود احزاب اخرى الى جانبه . وقد ظهرت اشكال جماهيرية وبرلمانية لتنظيم علاقات الحزب الشيوعي بالاحزاب الاخرى ، حيث تساهم هذه الاحزاب التي تمثل مصالح بعض الشرائح الاجتماعية في بناء الاشتراكية وهي تعترف وتقر بدكتاتورية البروليتاريا في برامجها السياسية .

ان طريق توطيد دكتاتورية البروليتاريا يمكن ان تكون مختلفة هي الاخرى اذ

يمكن ان تقام دكتاتورية البروليتاريا اثر حرب اهلية عنيفة كما حصل في الاتحاد السوفياتي اوإثر تدخل خارجي، كما حصل في بلدان اوروبا الاشتراكية ان اللذي يقرر طريق توطيد سلطة الطبقة العاملة ، هوطبيعة اصطفاف القوى الطبقية لحظة اندلاع الثورة ، ومقدار المقاومة التي تبديها البرجوازية والطبقات المستغله (بالكسر) اذ في الحالات التي تواجه بها البرجوازية الثورة الاشتراكية بقوة السلاح ، يتطلب الامر القضاء على مقاومة الرجعية بالسلاح (التجربة السوفياتية) .

وفي حالات معينة بالنسبة للبلدان المستعمرة سابقاً
امتزج العنف الثوري ضد االبرجوازية المحلية ، بالعنف ضد التدخل الامبريالي من الخارج (تجارب كوبا ، فيتنام) ومن هذه التجارب التي ظهرت بالتحديد في البلدان النامية اتخذ لنضال الشغيلة اشكالاً متعددة ، كان بعضها قاسياً جداً . وكان البعض الآخر اقل قسوة وضحايا . وفي كل الاحوال جرى توطيد دكتاتورية البرّ وليتاريه وفق نموذج ديمقراطية شعبية واسعة انبثقت من طبيعة التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي لهذه البلدان وطبيعة البنية الطبيقة فيها .

٢ ـ التحولات الاقتصادية :

الاقتصاد هو اساس الحياة الاجتماعية وبدون اجراء تحويلات اقتصادية اشتراكية ، وبالدرجة الاولى تحويل الملكية الخاصة الى ملكية عامة لا يمكن تنفيذ المهام الاخرى في بناء الاشتراكية .

ان الوسيلة الاساسية في تحويل طابع الملكية . في المرحلة الانتقالية هو التأميم الاشتراكي . والتأميم الاشتراكي يعني مصادرة وسائل الانتاج الاساسية : المعامل ، سكك الحديد ، المحطات الكهربائية ، النقل ، المؤسسات الزراعية والتجارية الضخمة ، البنوك . . . الخ من البرجوازية واحالتها الى ملكية الدولة الاشتراكية . ويجب قبل كل شي تأميم الصناعة الضخمة ـ المصارف والتجارة

الخارجية . فاذا تم ذلك فسوف تأخذ الدولة الاشتراكية بيديها أهم روافع الاقتصاد الوطني ، التي تمكنها من تنظيم الاقتصاد والعمليات الاجتماعية ووضع خطط الانتاج المبرمجة ، وحساب وتوزيع المنتجات ، والمحافظة على استقلال البلاد الاقتصادي وتوفير الآلية الاقتصادية الكفيلة بالدفاع عن البلاد ضد تدخلات الامبريالية الخارجية . وبنتيجة التأميم ينشأ في اقتصاد البلاد نمط اشتراكي قائم على الملكية العامة أو الجماعية . وفي نطاق النمط الاشتراكي وعلى اساس هيمنته على الانماط الاقتصادية الاخرى المرافقة له في المرحلة الانتقالية ، تجري عملية القضاء على الاستغلال وازالة التناقض بين الطابع الاجتماعي للانتاج والشكل الخاص للتملك ، كما تأخذ عملية التطور العفوي بالزوال التدريجي تاركة المكان لسياسة اقتصادية موجهة ومبرمجة .

★ التأميم الاشتراكي هل يجري دفعة واحدة ؟

ان الظروف الملموسة في البلد الذي يبني الاشتراكية هي التي تقرر الاشكال الملموسة لعمليات التأميم الاشتراكي وطبيعة المراحل الوسيطلا التي يجب اجتيازها كي يتم تأميم كل الاقتصاد .

وتعتبر رأسمالية الدوله احدى اهم الاشكال الانتقالية نحو التأميم . وتوجد اشكال مختلفة لرأسمالية الدولة فيمكن ان تقوم على اساس تأجير المؤسسات لارباب عمل خاصين أو قيام مؤسسات مختلطة تعود ملكيتها للدولة وارباب العمل في آن واحد . وفي كل هذه الاشكال تبقى الطبيعة الاقتصادية الاجتماعية هي نفسها ومحتواها هو اشتراك رأسمال الدولة مع الرأسمال الخاص في مشاريع اقتصادية ، تحت اشراف الدولة البروليتارية ولتنفيذ خططها ومطالبها لصالح بناء الاشتراكية . لقد واجه لينين المخاوف التي اثيرت حول عودة الرأسمالية من جراء افساح مجال محدود لارباب العمل في الاقتصاد ، وركز في العديد من كتاباته ، على ان رأسمالية الدولة ، لا خطر فيها على الثورة الاشتراكية ما دامت دولة دكتاتورية البروليتاريا هي التي تقود الاقتصاد ، وتقوم وبشكل حثيث بتقليص دور الملكية الخاصة وتحويلها الى ملكية عامة وجماعية . فالواقع ان الاقتصاد الاشتراكي لا يمكن ان يقوم كاملاً

وجاهزاً بضربة عصا سحرية ، اذ ان ذلك ، اذا كان ممكناً في الصناعات الضخمة والمؤسسات الكبيرة ، فانه صعب جداً فيما يتعلق بحل المسألة الزراعية لان طبيعة حل المسألة الزراعية تتعلق بطبيعة الانتاج السائد في الريف ، وبموقف الفلاحين من الملكية الخاصة ، والضرورة الفعلية لجذب الفلاحين المنتجين الصغار بالتدريج ومن خلال سياسة اقتصادية ـ اجتماعية توضح لهم افضليات الاشكال الاشتراكية والتعاونية في الزراعة . ولهذا يمكن القول ان من اعقد المهمات الاقتصادية ، من ناحية الفترة الزمنية التي يجب ان ينتصر فيها النمط الاشتراكي ، تواجهنا في حل المسألة الزراعية ، الا انه في حل المشكلة الزراعية لا بد في البدء ان تقوم دكتاتورية البروليتاريا بتأميم جزئي أو كلي للارض ـ في الاتحاد السوفياتي وبعد انتصار ثورة إكتوبر مباشرة جرى تأميم كل الارض « بمرسوم السلام » وتوزيع قسم كبير منها على الفلاحين للانتفاع بها بدون مقابل والى الابد ، اما القسم الأخر فقد استخدمته الدولة من اجل اقامة المؤسسات الزراعية الضخمة التابعة للدولة (السوفخوزات) . وفي تجارب البلدان الاشتراكية الاخرى ، جرى تأميم جزء من الارض ، وتمليك الجزء الأخر للفلاحين .

ان الانتصار التام للنمط الاشتراكي في الاقتصاد يقتضي تحويل اقتصاد صغار المنتجين ـ الفلاحين ، فكيف تجري عملية تحويل الملكية في الريف الى النمط الاشتراكي ؟

في البدء ان الفلاح الصغير المالك لقطعة الارض ، رغم كونه مالكاً الا انه ليس استغلالياً . انه يكدح ويأكل لقمة خبزه اليومي جراء كدح . ولهذا فانه لا يمكن مصادرة ملكيته الصغيرة ، كما تصادر الملكيات الاقطاعية أو البورجوازية . والفلاحون والاجراء الزراعيون الذين يساهمون في الثورة بنشاط على امل الحصول على الارض ـ حلمهم الكبير ـ تسود في اوساطهم ايضاً الكثير والكثير من مخلفات تقديس الملكية الخاصة ، ويعانون من التخلف ، نتيجة التطور غير المتناسق بين المدينه والريف الذي تولّده الرأسمالية حتماً . ولهذا لا يمكن للثورة ان تخيب آمال ملايين الفلاحين ، وبحكم طابع توزيع الاراضي ، فان الدولة الاشتراكية المنتصرة ، عندما تقوم بتوزيع الاراضي على الفلاحين فانها بذلك لا تؤدي الى

قيام استثمارات كبيرة في الزراعية ، بل الواقع بالعكس اذ يجري تفتيت الاستثمارات الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة الى مزارع صغيرة . فكيف يمكن تحويل هذه المزارع الصغيرة بالتدريج كي تصبح جزءا من الاقتصاد الاشتراكي يمكن تخطيطه وبرمجته في الخطة العامة للاقتصاد ؟ اجابت تجارب البلدان الاشتراكية عن هذا السؤال ، بان الطريقة الفضلى لتحقيق هذا الهدف هي اشاعة التعاونية في الزراعة . وبموجب ذلك تقوم الاستثمارات الفلاحية الصغيرة بالتوحد طوعاً في استثمارات كبيرة ، جماعية ، تدعى التعاونيات .

ومن خلال اقامة التعاونيات ، تقوم الدولة الاشتراكية ، بتعميم العمل والادوات والارض ، وبالتدريج ايضاً . لقد اعطت التجربة السوفياتية ثلاثة اشكال اساسية للتعاونيات :

١ - جمعية الفلاحة المشتركة للارض . وهي الشكل الادنى ، الاولي للتعاونيات . وفي هذا الشكل لا يجري تعميم وسائل الانتاج والارض ، بل يجري تعميم العمل فقط . حيث يتوحد الفلاحون للقيام بصورة مشتركة بهذه الاعمال الزراعية أو تلك .

٢ - التعاونية التي يُعمم فيها العمل ووسائل الانتاج وتبقى الارض ملكاً للفلاحين . وتجري قسمة المداخيل على اساس العمل وملكية الارض ، القسم الاكبر من دخل الفلاح يأتي عن طريق مساهمته في العمل اما القسم الاصغر فيأتي من ملكيته لقطعة الارض .

٣ - ارقى اشكال التعاونيات هو الشكل الثالث الذي تعمم فيه الارض ووسائل الانتاج والعمل . ويتم التوزيع حسب العمل فقط . ويطلق على هذا النوع من التعاونيات اسم (كولخوز) في الاتحاد السوفياتي .

ان اشاعة التعاونية في الزراعة يؤدي بالتدريج الى القضاء على الملكية الخاصة والانتاج البضاعي الصغير ، ويدمج الزراعة كلياً بالاقتصاد الاشتراكي ، حيث يتحول الى قطاع اقتصادي مخطط بشكل مركزي . والتعاونيات الزراعية تؤثر بشكل مؤاتي على الاقتصاد الاشتراكي . فهي تكبر الاستثماره الزراعية وتفسح في المجال لاستغلال المكننة وتوفر امكانية استخدام اليد العاملة بشكل عقلاني ،

وتصبح الزراعة قابلة للادارة من قبل الدولة ، ويختفي الانتاج الزراعي العفوي .

التصنيع الاشتراكي :

ان الصناعة الثقيلة هي الاشتراكية كما يقول لينين ، ولهذا فأن انشاء صناعة ضخمة عصرية قائمة على احدث منجزات العلم والتكنيك شرطاً لا بد منه وهام للغاية لبناء الاشتراكية ، خاصة في تلك البلدان ذات التطور الصناعي الضعيف ، وتطور الصناعة الثقيلة هو حجر الزاوية في بناء المجتمع الاشتراكي .. لان القاعدة المادية للاشتراكية هي بالتحديد الصناعة الضخمة الآلية ، التي تتيح ايضاً اعادة تنظيم الزراعة .

والتصنيع الاشتراكي يؤمن التقدم العلمي التكنيكي المتواصل ، والازدياد الدائم لانتاجية العمل ، ورفع مستوى تجهيز الاقتصاد الوطني بالمعدات وتحسين ظروف النشاط العملي للناس ، ورفع مستواهم المعاشي وتوفير الارضية المادية لازدهار الثقافة ، وتعزيز الاستقلال الاقتصادي والسياسي للبلد الاشتراكي عن الرأسمالية وللتصنيع الاشتراكي اهمية سياسية فائقة . وذلك انه بتعزيز الملكية الاجتماعية في القطاع الاقتصادي الحاسم - أي الصناعة - يعني الازاحة الكلية للعناصر الرأسمالية في المدينة ، ويؤذن بالانتصار النهائي للنمط الاقتصادي الاشتراكي . ونمو الصناعة ، بما في هذا الصناعة الضخمة ، تعاظم دور الطبقة العاملة السياسي والاجتماعي وتأثيرها في سائر الطبقات والفئات الاجتماعية ، وبدون التصنيع لا يمكن ان تنمو الطبقة العاملة عددياً ونوعياً ، ونمو الطبقة العاملة يعني تعزيز المواقع السياسية للدولة البروليتارية .

التصنيع الاشتراكي يختلف جذرياً عن التصنيع في ظل الرأسمالية ويخدام اهدافاً مختلفة جذرياً ايضاً . فالتصنيع الرأسمالي يتم على حساب الاستغلال المكثف للشغيلة في البلد الرأسمالي ذاته ومن خلال استغلال ونهب الشعوب الاخرى المستعمرة . فذلك هو مصدر التراكم الرأسمالي . اما التراكم الاشتراكي فانه يأتي من عمل وجهود الشغيلة في البلد الاشتراكي ، عن طريق التراكم الداخلي الذي يتحقق عن طريق زيادة الانتاجية وادارة الاقتصاد بشكل مبرمج والاقتصاد في

النفقات والاستخدام العقلاني للموارد كافة . وبالطبع فان التصنيع الرأسمالي يهدف الى تحقيق الارباح ، وبالضد منه فان التصنيع الاشتراكي يهدف الى خدمة الانسان الشغيل وتأمين حاجاته واشباعها وتطويرها باستمرار . ان التصنيع ليس بالامر الهين . اذ انه يتطلب من الشغيلة جهوداً عديدة وفي بعض الاحيان التضحية على المدى القصير لتأمين حياة اكثر ثراء في المدى البعيد . خاصة اذا كان البلد الاشتراكي يتعرض لمخاطر خارجية وتخريب داخلي ، كما حدث بالنسبة لبلاد السوفيات التي كانت الدولة الاشتراكية الوحيدة ، عند اندلاع ثورة اكتوبر ، وتعرضت لهجوم الرجعية الداخلية ، والامبريالية من الخارج .

ادى التصنيع الاشتراكي الى تحويل بلاد السوفيات ، خلال فترة زمنية قصيرة ، من بلد رأسمالي متخلف ، الى بلد صناعي ، يمتلك قاعدة اقتصادية هائلة التطور . فقد حققت شعوب الاتحاد السوفياتي نجاحات ملهمة لكافة شعوب الارض . واستطاعت بناء اقتصاد جبار صمد في حلبة التنافس مع الاقتصاد الرأسمالي العالمي . كما صمد في وجه محاولات الامبريالية (النازية) تدمير دولة العمال والفلاحين الاولى في العالم . وحققت البلدان الاشتراكية الاخرى نجاحات اقتصادية مرموقة ايضاً .

ويكفي ان نذكر هنا ، ان بلداً اشتراكياً كالمانيا الديمقراطية ورث دماراً شاملاً بعد اندحار النازية استطاع خلال عقود قليلة منذ نهاية الحرب الثانية وحتى الآن ان يتحول الى بلد يأتي في المرتبة التاسعة من حيث التصنيع في العالم . ان الآلية الاقتصادية الاشتراكية تكفل التطور المضطرد وبوتائر عالية جداً مقارنة بالبلدان الرأسمالية .. ، لكافة فروع الاقتصاد الوطني . وقد اتاح التعاون الاممي والتكامل الاقتصادي الاخوي بين بلدان المنظومة الاشتراكية افضليات لا تعوض لكافة البلدان الاشتراكية ، في تطوير صناعاتها وزراعتها بوتائر متقاربة ، حيث تقدم البلدان المتطورة المعونة الاخوية النزيهة للبلدان الاقل تطوراً واليوم تقف البلدان الاشتراكية في المنافسة الاقتصادية مع الرأسمالية ، على الساحة الدولية ، وهي تمتلك المستقبل حقاً .

٣ ـ اعادة بناء العلاقات القومية :

من المهام الاساسية في بناء الاشتراكية ، مهمة حل المشكلة القومية ، في البلدان ذات القوميات المتعددة . وقد اصبح حل المشكلة القومية حلاً جذرياً ، يلغي اضطهاد امة لامة اخرى ، فقط في ظل الاشتراكية . ذلك ان المجتمع الرأسمالي القائم على اساس الملكية الخاصة ، واستغلال الانسان ، هو في الوقت نفسه مجتمع الاضطهاد القومي . فالبرجوازية في البلدان الرأسمالية تستغل كدح وعرق وفائض قيمة عمل عمال وشغيلة بلادها ، وتضطهد وتمتص فائض القيمة لعمل وكدح الشعوب الاخرى التي تقع ضحية استعمارها . وفي حالة البلدان الرأسمالية التي توجد فيها اكثر من قومية ، تقوم برجوازية القومية الكبرى باستغلال القومية الاصغر . ومن هنا تنبثق مهمة الثورة الاشتراكية ، فالاستغلال الطبقي يولد الاستغلال القومي ، واذ تضع الاشتراكية حداً للاستغلال الطبقي والعداء بين الطبقات ، فانها بذلك تقتلع نهائياً الاضطهاد القومي والعداء بين القوميات لتحل محلها علاقات من نمط نوعي جديد ، بين القوميات والامم والشعوب .

كتب ماركس وانجلز في البيان الشيوعي « بنفس الدرجة التي تتم بها ازالة استغلال جماعة لاخرى ، تتم ازالة استغلال امة لاخرى » .

وكتب لينين « ان كل برجوازية تطمح ، في حقل مسألة القوميات اما الى الحصول على امتيازات لامتها ، واما الى تحقيق فوائد استثنائية لها . في حين ان البروليتاريا هي ضد كل امتياز وضد كل استثناء »(*)

وقد قدم لينين برنامجاً ملموساً لحل المسألة القومية . برنامجاً لازدهار وتقارب الامم . ويقوم البرنامج على ديمقراطية تامة في الحياة الاجتماعية واقامة مساواة حقيقية بين جميع الاجناس والقوميات ، واعطاء الامم حقها في تقرير المصير بما فيه تشكيل دولة مستقلة ، التلاحم الاممي للبروليتاريا من جميع القوميات في البلاد . ان البرنامج اللينيني في حل المسألة القومية ، والمفعم باحترام الشعوب صغيرها وكبيرها ، وبالاهتمام العميق باكثر حاجاتها اهمية ، قد ادى الى تلاحم حلف العمال

(*) لينين ـ المختارات بالعربية ـ مجلد ٥ ص ١٦٣

والفلاحين في جميع القوميات الموجودة في الاتحاد السوفياتي في تلاحم متين تحت قيادة الطبقة العاملة . وقد اصبح هذا التحالف احد العوامل الهامة في انتصار ثورة اكتوبر . في ١٥ تشرين ثاني عام ١٩١٧ اصدرت الحكومة السوفيتية « بيان حقوق الشعوب في روسيا » الذي اعلن اقامة مساواة سياسية وقانونية لجميع القوميات والامم في الاتحاد السوفياتي .

لقد طرح لينين في كفاحة ضد الانتهازية المسألة القومية طرحاً تاريخياً ملموساً . فليس المهم القول بحق تقرير المصير لمختلف الامم والقوميات ، بشكل مجرد . الاكثر اهمية من ذلك هو كيف ممكن حقاً ، ازالة الاستغلال والاضطهاد القومي بشكل نهائي وحاسم وكيف يمكن العمل بمثابرة من اجل تقارب الامم والشعوب القاطنة في دولة واحدة ، بعد ازالة الاستغلال الطبقي والقومي . وربط لينين بين حق الانفصال ومصالح الشغيلة في مختلف الامم والقوميات . كتب لينين ان البر وليتاريا « وهي تعترف بالمساواة في الحقوق وتقر لجميع الامم حقاً متساوياً في انشاء دولة قومية ولكنها تضع مصلحة التحالف بين البر وليتارين في جميع الامم فوق كل اعتبار آخر . وتنظر الى كل مطلب قومي والى كل انفصال قومي على ضوء نضال العمال الطبقي »(*) .

ان الامر الرئيسي في نظر الماركسية - اللينينية هو التغلب على الجذر الاساسي الذي يجعل الاستغلال القومي حتمياً . وكذلك العمل على تطوير كافة القوميات القاطنة في دولة واحدة ، تطويراً متناسقاً . وقد حلت اول دولة للعمال هذه المهمة بنجاح كبير ، اذ جرى التغلب على التأخر الاقتصادي والثقافي في الزمن ، في الجمهوريات السوفياتية التي تقطنها قوميات واقليات كانت مضطهدة ومتخلفة اثناء حكم القيصرية .

وبالمساعدة الاخوية من قبل عمال وشغيلة روسيا ، امكن تطوير كافة فروع الاقتصاد في بقية ارجاء الاتحاد السوفياتي ، بشكل متوازن مع وسار ذلك في اطار قيادة الحزب الشيوعي الذي وضع سياسة أقتصادية اجتماعية ، ادت الى تقارب

(*) المصدر السابق ص ١٦٥

شديد في مستويات التطور في مختلف الجمهوريات السوفياتية وفي نفس الوقت جرى ضمان تقارب القوميات والشعوب واقامة علاقات اخوية متينة لا تنفصم خالية من الاستغلال وكفلت ازدهار كافة القوميات والامم . وقد حققت بعض القوميات في الاتحاد السوفياتي قفزات كبيرة في سلم التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي ، اذ انتقل بعضها من العلاقات الاقطاعية ، أوما قبل الاقطاعية ، مباشرة الى العلاقات الاشتراكية في الانتاج .

ان الحل الناجح للمسألة القومية في الاتحاد السوفياتي تشير باقناع ، الى ان افكار وتعاليم الماركسية ـ اللينينية كفيلة بحل اعقد المسائل ، في تطور البشرية . وليس من شك في ان مسألة القوميات تعد من اعقد المشاكل التي تواجه البشرية في عصرنا الراهن . جرى حل المسألة القومية في البلدان الاشتراكية الاخرى التي تحوي اكثر من قومية ، حلاً لينينياً فعلى اساس الاشتراكية ، سارت هذه البلدان في عملية تطور وتقارب الامم والشعوب التي خلقت بعملها المشترك مجتمعاً جديداً وارتقت باقتصادها وثقافتها كما حصل في تشيكوسلوفاكيا وغيرها من البلدان الاشتراكية .

وتعد التجربة السوفياتية في حل المشكلة القومية ذخيرة حية في متناول شعوب بلدان حركة التحرر الوطني ، التي تخوض نضالاً ضارياً ضد الاستغلال القومي المسلط عليها من قبل الامبريالية العالمية ، سواء بشكل كولونيالي مباشرة اوبشكل الاستعمار الجديد .

لقد اثبتت التجربة العملية ، بالملموس ، انه يمكن فقط في اطار الاشتراكية حل المسألة القومية حلاً نهائياً وحاسماً يرضي كافة الامم والشعوب ويؤمن حقوقها السياسية والاقتصادية وغيرها .

٤ ـ الثورة الثقافية :

الثورة الثقافية تعنى خلق ثقافة جديدة اشتراكية بروليتاريا من ناحية جوهرها الطبقي . لتحل محل الثقافة القديمة البرجوازية . والثورة الثقافية قانون هام آخر من قوانين بناء الاشتراكية . ان الطبقة العاملة في مجرى الثورة تخلق ثقافة جديدة ،

تقوم على افضل ما انتجه الفكر الانساني عبر مختلف عصوره ، فهي لا ترمي منجزات الثقافة البرجوازية الى المزبلة ، دون اعارة اهتمام بها ، بل تعتبر الجوانب الايجابية المضيئة في الثقافة البرجوازية وفي كل الثقافات الانسانية التي سبقتها ملكاً خاصاً للشعب وتعمل على مراجعة منجزات العقل البشري وتطويرها ورفعها الى درجات رفيعة جديدة . وتقوم المهمة الاساسية امام الثورة الاشتراكية في ميدان الثقافة في جعل الثقافة شعبية حقاً ، أي تحويل جميع الثروات الروحية ومكتسبات العلم والفن والادب الى ملكية الشعب باسره ويتصل بهذه العملية ، مهمة رفع مستوى الكاحدين العلمي والثقافي وفتح كافة المجالات امام المواهب الشعبية للتفتح والازدهار واطلاق طاقات الشعب الخلاقة .

واهمية الثورة الثقافية لا تتوقف على البلدان الضعيفة التطور ، اذ لا تقل ضرورتها في البلدان الناضجة ثقافياً . فكما يقول ماركس ، ان الافكار والعادات والتقاليد الرجعية تشكل جبال امام وعي الشغيلة وامام تكوين ثقافة جديدة تخلو من كل القيم الثقافية الاستغلالية واللاانسانية . وفي اكثر البلدان الرأسمالية تطوراً ، يوجد القسم الاكبر من السكان ـ الكادحون ـ وكقاعدة عامة محرومون من امكانات استخدام والتمتع بمنجزات الثقافة .

الطبقة البرجوازية وهي تحتكر ملكية وسائل الانتاج بشكل عام ، فانها ايضاً تحتكر تعاطي النشاط الروحي والعمل الفكري . وهذا ما يؤدي في الوجدان الشعبي الى النظر الى اشكال النشاط الفكري والروحي وباعتبارهما ترف يصعب نيله . فالكادحون في كدحهم من اجل لقمة العيش ، لا يجدون الوقت اللازم ، ولا الوسائل الكفيلة بجعلهم يساهمون بنشاط في الانتاج الروحي الاجتماعي .

الدولة الاشتراكية ، في خطوة لا بدّ منها ، تؤمم وتضع تحت تصرف الشعب باسره كافة مؤسسات الثقافة وجميع وسائل التأثير الروحي الجماهيري على الناس : الصحافة ، الاذاعة ، التلفزيون ، دور السينما ، المسارح ، المتاحف . . الخ وتقوم الدولة الاشتراكية ببناء مؤسسات ثقافية جديدة ، تستوعب وتلبي حاجات ملايين الناس .

ومن المهام الاولى امام السلطة الثورية الجديدة ، في أي بلد من البلدان مهمة

مكافحة الامية والقضاء عليها بشكل نهائي ، وتعميم التعليم الابتدائي كخطوة اولى لقطع جميع روافد الامية وثم في مرحلة لاحقة يصبح التعليم الثانوي الزامي وتنشر الدولة الأشتراكية على نطاق واسع معاهد ومدارس التعليم التخصصي المهني والعالي ، وتغير من طابع عمل كافة المؤسسات التعليمية من حيث برامجها ودورها العلمي والثقافي .

لقد ناضل لينين دون هوادة ضد انتهازيي الاممية الثانية الذين كانوا يقولون ان الثورة الاشتراكية لا يمكن ان تقوم وتنجح دون ان يكون هناك عددٍ كافٍ من العمال والشغيلة « المثقفين » الذين يستطيعون ادارة جهاز الدولة الجديد ، حسب زعمهم ، وسخر لينين من هؤلاء قائلاً انه يجب عليهم ان ينتظروا للابد ثورة لن تأتي ، ذلك ان البرجوازية لا يمكن ان تخلق لهم جماهير شعبية متعلمة وناضجة الثقافة . فهذه المهمة هي احدى مهام البروليتاريا الاساسية وهي تتناقض على طول الخط مع مصالح البرجوازية التي ترى ان نشر الجهل بين الجماهير هو احد العوامل الضرورية لاستمرار استغلالها لها وتسلطها . لقد اخذت الطبقة العاملة والشغيلة في روسيا سلطة الدولة من بين يديها في الوقت الذي كانت غالبية الشعب تعاني من ظلام الامية والجهل . وخلال فترة قصيرة تم القضاء على الامية وتعميم المدارس الابتدائية وكافة وسائل رفع مستوى الشغيلة الثقافي والعلمي . واليوم يأتي الاتحاد السوفياتي في المرتبة الاولى بين جميع دول العالم من حيث عدد المخترعين العلميين والعلماء والاختصاصيين . وازدهرت فيه بمقاييس كبيرة جداً شتى روافد الثقافة الاشتراكية . وفي الاتحاد السوفياتي حيث تعيش شعوب وقوميات واقليات متآخية ، اولت الدولة السوفياتية والحزب الشيوعي اهتمامها الى مسألة تطوير ثقافة كافة الامم والقوميات ووجدت حالات عديدة كان على السلطة السوفياتية فيها ان تبدأ من الصفر حتى في ايجاد الابجدية اللغوية لبعض الشعوب الصغيرة . وحققت البلدان الاشتراكية نجاحات هامة ، هي الاخرى في هذا المضمار . ان القوانين العامة لبناء الاشتراكية اخذت اثناء التطبيق طابعاً خاصاً في كافة البلدان الاشتراكية وقد تأكد هذا الاستنتاج من تجربة الاتحاد السوفياتي وبقية البلدان الاشتراكية .

وقد تكررت هذه القوانين ، باشكال ملموسة وغنية في كافة البلدان التي تسير في

بنـاء الاشـتراكية ، في فيتنام وكوبا وغيرهما . ومما له اهمية قصوى في بناء الاشتراكية في البلدان الضعيفـة التطـور المهـارة في تطبيق القـوانـين العـامـة ، وحسبـان طبيعة الظـروف السـائـدة ، وايجاد أنجع السبل لتطبيق العام في وضع خاص والنضال دون هوادة ضد الجمــود العقـائــدي والتطـرف في النظـر للقـوانـين وفي فهم الظـروف الملموسة . وقد اكدت تجارب بناء الاشتراكية ، واقع ان الظروف الخاصة لهذا البلد أو ذاك تجد اشكالاً غاية في الغنى والتنوع الا ان الجوهري هو ان القوانين العامة لبناء الاشتراكية بقيت كما هي في كل البلدان .

الفصل الرابع

الشروطَ الذاتية والموضوعية للثورة والحالة الثورية

العلاقة بين التطور الثوري وفقاً للقوانين الموضوعية والعامل الذاتي تشكل احدى القضايا الاساسية في نظرية الثورة .

وتختلف الماركسية ـ اللينينية في تناولها للعملية الثورية ، وفي تحليلها للوضع الثوري ، والعلاقة بين ما هوذاتي وما هوموضوعي في الثورة عن سائر النظريات الاشتراكية غير العملية ، فالماركسية تربط بشكل خلاق بين تحليل الوضع والجوانب الموضوعية في الواقع الحي ، والقوانين المسيرة له ، وبين الاعتراف والتأكيد الشديد على اهمية العامل الذاتي أي الطاقة الثورية ، والمبادرة الثورية للجماهير والافراد والجماعات وبالدرجة الاساس للطبقة الثورية وحزبها الطليعي .

ان الثورة لا تنبثق من فراغ ولا تقوم وفقاً لرغبات في رؤوس الناس ، اذ تسبق الثورة في الوجود ، كل العوامل الموضوعية الاقتصادية ـ الاجتماعية ، التي تجعل نشاطّ الناس الثوري ممكناً . فحين تكون الظروف الاساسية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية ، قد تم خلقها في ظل الرأسمالية ، يمكن اعادة تنظيم المجتمع ثورياً . في رحم الرأسمالية تنمو الثورة الاشتراكية وهذا النموعملية حتمية لها قوانينها العامة واشكالها المحددة .

اجتماعية الانتاج في ظل الرأسمال الاحتكاري تزيد من تفاقم النظام الرأسمالي باكمله الى خضم الازمة التي يجري حلها بالعمل الثوري لملايين الناس ، في اطار صراع طبقي ، بين كل الطبقات والفئات الاجتماعية والاحزاب السياسية والمجموعات . والحتمية التاريخية للثورة لا يجري تجسيدها ، الا انطلاقاً من جملة

الظـروف المـوضوعية والذاتية الحية الملموسة ، فالحتمية ليست قوة تقف فوق التطور التاريخي الملموس . انها تنبثق من هذا التطور ذاته .

ان الـرأسـمالية تخلق كل القوانين الموضوعية التي تعمل عملها اليومي في تقويض اسس علاقـات الانتـاج الـرأسـماليـة ، لكنها مع ذلك غير كافية لوحدها كي تجعل الرأسمالية تنهار من تلقاء نفسها . فديناميكية التناقضات الموضوعية بمفردها وبدون النشـاط الثـوري للطبقـة العـاملة ، والجـماهـير الشعبية ، لا يمكن للثورة ان تقوم ويجـري الانتقـال من الـرأسـمالية الى الاشتراكية . نظرية الاشتراكية العلمية تقف على الضـد من المفـاهيم الميكـانيكيـة في فهم وتحليـل العمليـة الثـوريـة . فالنظام الـرأسـمالي ليس مجرد قشـرة رقيقـة تتكسـر بفعـل ضغـط التناقضات الموضوعية التي تنخـرهـا ، ولـدى الرأسمالية قدرة كبيرة ، على التكيف ، وعلى حل هذه الازمة او تلك مؤقتاً ، ريثما تنشب ازمة جديدة ، انها بالاحرى تملك آلية التكيف مع الازمة ذاتهـا . تأكيـد الاشـتراكيـة العلمية ، على دور العامل الذاتي في الثورة ، ينبع من التحليل المادي للظروف المضوعية حول نضوج أو عدم نضوج الثورة . والماركسية ـ اللينينية ليست نظرية وحيدة الجانب . كما هو حال المفاهيم التر وتسكية القائلة بركود الـرأسـماليـة ، والتي تزعم ان الـرأسمالية ما دامت قد دخلت ازمتها العامة ، فانها لا تتطـور ولا تملك القـدرة على التكيف . لقـد دحض الواقع الحي والتجربة التاريخية هذه الافكار لانها تتجاهل قدرة البرجوازية على التعلم من الازمات والهزائم وقدرتها على المنـاورة وابتكـار الاسـاليب الجديدة من اجل وقاية نظام الاستغلال . ومن هنا فان الانتهـازيـة اليمينيـة (الميكـانيكية) تظهر في العمل السياسي وفي فهم العملية الثـوريـة بصيغـة (يسـاريـة متطـرفـة) والمـاويـة كالتر وتسكية تنطلق من مقدمات ميكانيكية وتخطيطات جامدة وتصل الى نتائج ارادية فوق ثورية وصبيانية .

ان التعـاليم اللينينيـة حول الحتمية التاريخية للثورة الاشتراكية لم يتم استخراجها من توقـع وصـول الـرأسـماليـة في تطـورهـا الى الموت العفوي . بل استخرجت من الانضـاج المتـواصـل لحالـة الصـراع ، ومن تعـاظم التـوتـر الـداخـلي في المجتمـع الاستغـلالي وتفـاقم تنـاقضـاته . وبما ان اشكال التناقض تميل نحو اكتساب سمات متبدله في الرأسمالية وفي كل مرحلة من مراحل تطورها ، فان الحل الثوري لا يمكن

ان يكون متماثلاً مع الحلول التي قد تكون وجدت في الماضي . ان حل مشاكل الثورة الجديدة يكمن في الجهود الخلاقة التي تأخذ بالحسبان كل ما طرأ من تغييرات تطويرية من جانب الرأسمالية والعناصر الجديدة في استراتيجية وتكتيك البرجوازية . ولنضرب مثالاً على ذلك :

ان جميع الثورات الاشتراكية قد حصلت في بلدان كانت فيها نسبة الفلاحين كبيرة جداً ، من مجموع السكان العام ، أوكان الفلاحون قوة اجتماعية كبيرة توازي في العدد نسبة الطبقة العاملة من مجمل السكان . اما الآن وفي البلدان الرأسمالية المتطورة في الولايات المتحدة واوروبا الغربية فان نسبة الفلاحين من مجموع سكان كل بلد لا تتجاوز بالمتوسط ١٠٪ من مجموع السكان في كل بلد . وقد ادت الثورة العلمية التكنيكية الى ظهور فئات اجتماعية جديدة ، والى ادخال تغييرات عميقة في حياة فئات اخرى ، وبفضل هذه التغييرات اصبحت الطبقة العاملة هي الطبقة الاكثر عدداً والاوسع انتشاراً بين جميع الطبقات في المجتمع الرأسمالي . ان هذا الواقع الموضوعي ، يفترض تغييراً في التكنيك اثناء قيادة العملية الثورية ، اذ انه يستلزم علاقات جديدة بين البروليتاريا وبين الفئات الوسطى كما يتوجب دراسة الطاقة الثورية لكل فئة اجتماعية ودورها ومقدار تناقضها مع الرأسمالية والملكية الخاصة ، وطبيعة تقاليدها السياسية . . وعشرات العوامل الاخرى .

وتزيد هذه التطورات وزن الطبقة العاملة السياسي والاجتماعي بشكل ليس له مثيل في السابق ، وتُدخل بالنتيجة تعديلات على تكتيكاتها في النضال الثوري . لكن هذه التطورات تؤكد الضرورة الموضوعية للثورة ، بقوة لا تُرد . ذلك ان مشاكل وتناقضات الرأسمالية تتفاقم وتأخذ ابعاداً أعمق واشمل .

ان أتمتة الاقتصاد تقلل كثيراً من الحاجة لمشاركة الانسان المباشرة في العملية الانتاجية ، وهذا في ظل الرأسمالية يحمل معه صراعات طبقية حادة ، اذ يحوم شبح البطالة فوق رؤوس الملايين كما ان الاتمته تتطلب درجة عالية من التعليم ، أي انها تؤدي حتماً الى زيادة في تعليم العمال ، وبالنتيجة الرفع من وعيهم السياسي والاجتماعي بمقادير كبيرة . ويواجه الاقتصاد الرأسمالي معضلات بنيوية اكثر حدة مثل مشاكل التنظيم الواعي للاقتصاد وغيره من العمليات الاجتماعية ، وقضايا

التوافق بين مستوى التطور الاقتصادي ومستوى التطور الثقافي . ومعضلة اشباع حاجات الناس المتنامية . الى آخر ذلك من معضلات لا يمكن للرأسمالية بأي حال من الاحوال ان تقدم لها حلولاً حقيقية .

وفي بلدان حركة التحرر الوطني ، حيث يكوّن الفلاحون نسبة عالية من السكان ، وحيث تعاني هذه البلدان من وجود انماط اقتصادية مختلفة ومتعايشة في آن واحد وتتعرض للضغوط الاقتصادية والسياسية الامبريالية فان الثورة فيها ، تأخذ طابعاً ملموساً فيه غنى وتعدد في اشكال ظهور القوانين العامة للثورة وطبيعة عملها ، ودور العامل الذاتي ، الذي سيكون هنا هاماً جداً في العملية الثورية ، من واقع ضعف النمو الاقتصادي في هذه البلدان بشكل عام . وضعف عملية الفرز بين الطبقات ، وكون الطبقة العاملة في غالبية هذه البلدان ، ما زالت فتية . وهذا لا يعني بأي حال من الاحوال ، ان الثورة ، والظروف الموضوعية والذاتية لنشوبها ستختلف ، او انه يجب ابتكار مفاهيم خاصة لتحليل العملية الثورية ، بعيداً عن واقع هذه البلدان الاقتصادي ـ الاجتماعي ، وواقع تلازم مهمات الثورة الوطنية المعادية للامبريالية فيها بمهمات الثورة الاشتراكية . في بلدان حركة التحرر الوطني نجد واقع اجتماعي اصيل ، يحتاج الى استيعاب ودراسة علمية على ضوء نظرية الاشتراكية العلمية ، كما يتطلب هذا الواقع الاعتراف الكامل بأثر العوامل الموضوعية في تطور العملية الثورية . وفي حالة هذه البلدان ، تكتسب اهمية فائقة مسألة ودراسة العملية الثورية بجانبيها الموضوعي والذاتي في كل بلد ، وبالملموس ، اذ سوف يترتب على فهم وتحليل هذه العوامل بصواب نجاح عملية قيادة الثورة . أو اخفاقها في هذا البلد أو ذاك ، وفي كل مرحلة من مراحل تطوره .

ان القوانين العامة لتطور الرأسمالية المعاصرة واشكال ظهور هذه القوانين تؤكد بقوة اضافية دور العامل الذاتي : نشاط الطبقة العاملة الثوري ودور الجماهير في الثورة ، والاهمية التي لا غنى عنها لتنظيم هذا النشاط وقيادته في معارك الصدام الطبقية . وفي بلدان حركة التحرر الوطني يكتسب دور العامل الذاتي في الثورة اهمية استثنائية للاسباب التي سلف ذكرها .

ديالكتيك ما هو ذاتي وموضوعي في الثورة

الظروف الموضوعية التي تلعب الدور الرئيسي في الثورة لا توجد بمعزل ، ولا تفعل فعلها بعيداً عن العامل الذاتي . فالشروط الموضوعية للثورة توجد في علاقة ديالكتيكية مع الشروط الذاتية لها .

ان تناقضات الرأسمالية الموضوعية العميقة تولّد وتحفز كافة جوانب وعوامل النشاط الثوري للطبقات والفئات الاجتماعية التي تقف الرأسمالية بالضد من مصالحها وهي عرضة للاستغلال ، أي ان العوامل الموضوعية ، ومن حيث الاساس ، هي التي تصنع العوامل الذاتية للثورة ، في عملية حية وملموسة لا يمكن الفصل فيها بين دور العوامل الموضوعية ودور العوامل الذاتية ، فصلاً مطلقاً . الموضوعي والذاتي ، هما وجهان لشيء واحد اسمه الثورة . يتصلان ببعضهما صلة وثيقة لا تنفصم . فالحاجة للتحولات الثورية توقظ نشاط الطبقات وفئات المجتمع المتقدمة ، ويتجسد هذه النشاط بالوعي والاعمال السياسية الهادفة ويحمل معه في مجرى عملية الثورة تغييرات موضوعية ، أي ان العامل الذاتي يقوم بخلق تغيرات موضوعية جديدة . الثورة الاشتراكية لا تقف عند تحطيم العلاقات الاستغلالية القديمة ، وجهاز الدولة الذي يحميها ، بل انها تؤسس ايضاً نتيجة النشاط الثوري نمط علاقات انتاجية جديد ، هو النمط الاشتراكي وتقيم دولة من نمط جديد ايضاً ، هي دولة دكتاتورية البروليتاريا ، وهذا يجلب معه تحولات اقتصادية واجتماعية جذرية وتختلف نوعياً عما كان سائداً في ظل الرأسمالية .

لكن هل يعني هذا ان ليس هناك حدود بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي في العملية الثورية ؟ كلا بالتأكيد . فالحدود بين ما هو موضوعي وذاتي واضحة . وبأعم تعريف ممكن القول ان الحركة الثورية تشكل بالنسبة لنظام معين العنصر الذاتي . وداخل الحركة الثورية نفسها توجد ظروف موضوعية واخرى ذاتيه . الموضوعية تتعلق بظهور ونمو الطبقات الثورية ، وتبلور طاقتها الثورية والعلاقة بينها وبين الطبقات الاخرى .

اما الجانب الذاتي في الحركة الثورية ، فسيكون مدى فهم الطبقة لموقعها ودورها ومهامها واستعدادها لانجاز هذه المهام واتقان الحزب السياسي القائد لها لاساليب

النضال ووضع البرامج وصياغة تكتيك وستراتيجية الصراع الطبقي . . . الخ .

ويتضح مما سلف انه في الجانب الذاتي في العملية الثورية ، توجد ايضاً جوانب موضوعية واجوانب ذاتية .

وعلى ضوء منهج البحث المتبع يمكن دراسة الحزب البروليتاري لوحده ، وفي هذه الحالة سوف تجد ان الحزب الذي هو نتاج موضوعي سياسي للطبقة العاملة فيه جوانب موضوعية وذاتية . ويمكن ان نميز هنا تغييراً في الحدود ما بين الذاتي والموضوعي ، فالاشكال التنظيمية القائمة واساليب النضال في هذه المرحلة أو تلك تشكل الجانب الذاتي في نشاط الحزب ، اما التقاليد المحيطة بالحزب وطبيعة تركيبته الطبقية فتمثل الجانب الموضوعي(*) .

يتعارض ديالكتيك الموضوعي والذاتي ، كما تجسده اللينينية مع كل محاولة للتقليل من دور العامل الذاتي ، وطرحه على انه لا يزيد عن كونه انعكاس لصورة الظروف الموضوعية . فاللينينية تتميز بموقف نشيط من الواقع . اذ ان العمل وفق القوانين الموضوعية ومتطلباتها يتبعه فوراً ، وبما لا يقل اهمية ، دور العامل الذاتي للمبادرة في التغيير الثوري .

الوضع الثوري

اكد لينين مراراً على ان الجماهير الشعبية هي صانعة التاريخ من خلال نشاطها المتنوع على اساس القوانين الاجتماعية الموضوعية . وقد صاغ لينين مقولتي الذاتي والموضوعي في العملية الثورية ، ومفهوم الوضع الثوري ، والمبادرة الثورية في سياق عملية دراسة الحياة الاجتماعية والصراع الطبقي ، في خضم المعارك الطبقية المحتدمة في روسيا قبل انتصار ثورة اكتوبر وبعدها اثناء الحرب الاهلية .

ونجد في الصياغات اللينينية حول الوضع الثوري انعكاساً عميقاً للمنهج المادي الديالكتيكي في واحدة من اهم قضايا الثورة . تلك هي عملية تشابك الجوانب

(*) انظر : ديالكتيك العملية الثورية . ي . كرازن ـ نوفوسقي ـ نشر دار ميسلون ـ دمشق ـ ١٩٧٢

الموضوعية والذاتية ، التي تولد الوضع الثوري ، أو الازمة الثورية ، التي تقوم الثورة بحلها من خلال النشاط الثوري الفعال للطبقات التقدمية والمجموعات الاجتماعية والتي تنشط تحت قيادة احزابها بشكل واعي وهادف .

ان الوضع الثوري يتجسد في جانبي العملية الثورية الذاتي والموضوعي ومن خلال تشابك هذين العاملين يمكن معرفة عناصر أو علائم الوضع الثوري . وقد كشف لينين عن هذه العوامل في كراسه « افلاس الاممية الثانية » وصاغها كما يأتي :

١ - استحالة الحياة والادارة للطبقات السائدة بالطريقة القديمة .
٢ - ان يتفاقم بؤس الطبقات المضطهدة (بالفتح) ويشتد شقاؤها اكثر من المألوف .
٣ - ان تتعاظم كثيراً ، للاسباب السالفة ، فعالية الجماهير بانجذابها للنشاط السياسي التاريخي المستقل .

واذا درسنا كل عامل من هذه العوامل ، على انفراد ، فسنجد فيه اكثر من مسألة تحتاج الى توضيح تفصيلي لسنا بصدده في هذا المجال . ويمكن الاشارة هنا ، على سبيل المثال ، الى ان استحالة الحياة والادارة للطبقات السائدة بالطريقة الروتينية ، تعني ان هناك ازمة اقتصادية - اجتماعية - سياسية عنيفة تعصف بالطبقة السائدة ، وعلى اساس ظروف هذه الازمة ، تندفع الجماهير الشعبية ، في حركات منظمة وعفوية ، في الهجوم الثوري الذي يجعل الطبقة السائدة عاجزة عن مواجهة الهجوم الثوري بإسلوب معتاد ، كأن مثلاً تكتفي بالقيام بحملة اعدامات محدودة ، او ان تصدر تشريعات فوقية تمنع التظاهر والعنف . . الخ ان حالة الازمة تجعل الطبقة السائدة ، حتى في حال اصدارها القوانين ومراسيم ، تقف عاجزة عن تطبيق هذه القوانين في الواقع ، ذلك ان اجهزة الدولة سوف تشهد تفككاً جزئياً او كاملاً ، وستظهر داخل الطبقة السائدة نفسها انشقاقات بين كتلها ، ويرافق كل هذا تشديد في الهجوم الثوري يجعل من محاولات الطبقة السائدة للافلات من العاصفة الثورية مستحيلة .

وهذا ما يجعل الثورة عملية ، حية ، ملموسة ، تحتاج الى قدر كبير من الدقة في قيادة الجماهير وشن النضال الثوري بطريقة منظمة ، لان أي خطأ كبير في قيادة

الصراع قد تؤدي الى افساح المجال للطبقة السائدة من اجل التقاط انفاسها وبالتالي تنظيم هجومها المعاكس على الحركة الثورية .

ان تداخل الظروف الذاتية والموضوعية في الوضع الثوري يوجد في عملية حية ملموسة ونشيطة . فقد عرى لينين مقولات الانتهازيين اليمينيين واليساريين بصدد نضوج الوضع الثوري أو عدم نضوجه ، وذلك اثناء الحرب العالمية الاولى . كان الثوريون الروس اليمينيين يرون ان الوضع الثوري غير ناضج ، فاشار لينين الى ان الوضع الثوري في بداية نضوجه (كان ذلك في عام ١٩١٤) ويشهد على ذلك مظاهرات الجياع في روسيا والعمال في المانيا ، واشار لينين الى ان الحرب الامبريالية من شأنها ان تشدد في بلورة الوضع الثوري ، وهذا ما جعله استناداً الى تلك العلائم يتوقع العاصفة الثورية .

وقد اكد لينين فيما يتعلق بالجانب الذاتي في الثورة ، على دور ومسؤولية الحزب الذي هو بطبيعته الطبقية طليعة منظمة للبوروليتاريا وهيئة اركان لها . اذ يجب على الحزب ان يطوّر وينضج الاجنة للهجوم الثوري وان ينشط فعاليته وفعالية الجماهير من اجل تهيئتها للابداع الجماهيري التاريخي المستقل .

ان الثوريين لا يظهرون فجأة في وقت نضوج الوضع الثوري انهم موجودين قبل ذلك ومنظمين في حزبهم الطليعي ونشاطهم الواعي ، كاحزاب ، يساهم في بلورة وانضاج الظروف الموضوعية للوضع الثوري والثورة . والسؤال الان هو هل تنشب دائماً الثورة في حالة توفر علائم الوضع الثوري ؟

يجيب لينين عن هذا السؤال بالنفي . ذلك ان الثورة لا تظهر في كل وضع ثوري ، فقد تظهر وتنجح عندما تتوحد مع الظروف الموضوعية قابلية الطبقة الثورية للنشاط الجماهيري الثوري ، اي قابليتها على تحطيم مقاومة الطبقات السائدة وقوى الثورة المضادة ، وبهذا تصبح الثورة واقعاً .

ان الثورة تنمو ببطء أو بسرعة في اطار تغييرات اقتصادية اجتماعية محددة وملموسة هي الشرط المسبق ايضاً لظهور الاحزاب الثورية وتنظيمها وقدرتها على ادراك وقيادة عملية الثورة ، وبنفس الظروف هي التي تجعل الطبقات الثورية قادرة على ادراك ذاتها كطبقات مستقلة مالكة لوسائل نضالها وقادرة على استخدامها لتحقيق

مصالحها .

في الــوقت الــذي كان لينــين ينتقــد دون هوادة المخططــات الميتــة للانتهــازيــين اليمينيــين ، فانــه انتقــد بعنف الانتهــازيــين (اليســاريين) الذين كانوا يفهمون في الوضع الثوري مجرد رغبتهم هم في الثورة دون دراسة علمية عن مدى نضج الوضع الثوري الموضوعي .

وفي اقرار نضــوج أوعدم نضــوج الــوضــع الثــوري يجب الانتباه جيداً الى تلك التأملات البرجوازية الصغيرة القائلة انه يجب عند التوصل الى استنتاج حول نضج الــوضــع الثــوري ، الاخذ بعين الاعتبار (!) ان تجري الثورة بدون اخطاء وباكبر قدر من الضمان المسبق لنجاحها .

وقــد سخــر لينــين من هذه الافكــار . لان الثورة الاجتماعية عملية واسعة وكبيرة تجلب في عاصفتهــا الاخطــاء واحتــمالات الفشل المؤقت ايضــاً ، ويجب ان لا يخيف ذلك الثوريين .

فالاستنــاد الى معطيــات المــاضي فقــط ، وعــدم اتقــان صنــاعة المستقبل بجرأة ثورية ، امر يتعارض تمام التعارض مع الماركسية ـ اللينينية . ذلك ان نضج الظــروف المــوضــوعيــة ونشــوء الــوضع الثوري يوجد امكانية واقعية للثورة ولكن كيف تتحقق الثــورة ؟ انهــا لا تتحقق بدون النشــاط المبــدع والخــلاق والــواعي من قبل الطبقات الثورية واحزابها .

وعلى الحــزب الثــوري ان يحسب بدقــة ليس فقط الظروف الموضوعية في الوضع الثــوري ، وانــما ايضــاً دوره هو ، مســاهمته ، استعداده للعمل الثوري بين الجماهير من اجل الانقضاض على سلطة الطبقات المستغلة وتحطيمها في عملية تاريخية تجر الى النشاط الثوري ملايين البشر وتدفعهم لصناعة تاريخهم بوعي .

المبادرة الثورية

كان لينــين يسخــر من الاتجاهات التأملية الســلبية للمناقشة حول الوضع الثوري ونضجه ، ويشير الى كلمات نابليون : « الى الامام يجب ان نبدأ القتال الجدي ، وبعد ذلك سيكون كل شيء واضح » .

وقد بدأ البلاشفة القتال الجدي من اجل انتصار الثورة وانتصروا وحافظوا على الانتصار رغم كل وجهات نظر الانتهازيين .

فالمبادرة الثورية عامل حاسم في نجاح الثورة ، ودونها لا يمكن تصور قيام الثورة . يقول انجلز ان فن الثورة كفن الحرب يحتمل ايضاً المجازفة المحسوبة ، ويحتمل الاخفاق . لكن عوامل النجاح متوفرة في الوضع الثوري الحي والملموس ، ولذلك فانه من الاخطار الجسيمة ، ان يقال في حال نضج الوضع الثوري انه يجب عدم المجازفة لان معنى ذلك عدم قيام الثورة لا الان ولا في أي وقت آخر ، الى ان يجيء الوقت الذي يتلازم فيه الوضع الثوري مع قدرة الطبقات الثورية واحزابها على المبادرة الثورية ، وقناعتها بامكانيتها على الامساك بالفرصة التاريخية وبالتالي الامساك بها بثبات .

وليس من شك في انه لا يمكن توقع جميع التفاصيل مسبقاً في حال نشوب الثورة ، ما يمكن رؤيته والتيقن منه بالنسبة للثوريين هي تلك الخطوط العريضة الحاسمة ، الاساسية ، التي تُنبيء بالعاصفة الثورية . فالتاريخ اكثر غنى دوماً من كل تخطيط مسبق جامد ومن موقع الممارسة الثورية يمكن اكتشاف كل أو بعض جوانب ذلك الغنى الخلاق في العملية الثورية .

كان قائد ثورة اكتوبر يبحث بنفسه عن اشكال تعجيل العملية الثورية لكنه اكد في نفس الوقت انه لا يجوز القفز فوق القوانين الموضوعية وعدم نضج الوضع الثوري بحجة المبادرة الثورية . كما لا يجوز الانتظار السلبي لتنضج جميع الظروف الموضوعية .

ان الظروف الموضوعية ، كما يقول لينين ، تلعب الدور المحدد ، فالعامل الذاتي والمبادرة الثورية ليستا خالقاً للظروف الموضوعية ، لكن العامل الذاتي والمبادرة يلعبان دوراً حاسماً في الثورة ، أي فيما يتعلق بالثورة ذاتها ، وليس ما يتعلق بالتطور الاجتماعي ككل .

ان الانتهازيين اليساريين يتمسكون بالشق الاول من مقولة لينين وينسون الشق الثاني . ومن هنا تظهر اشكال مختلفة لليسارية الطفولية . وقد حذر لينين هؤلاء الثوريين من انهم بتجاوزهم الموضوعي يستطيعون فقط تكسير رؤوسهم ، وانهم

قادرون فقط على ان يموتوا ، لكنهم لن يصنعوا الثورة .

لقد اثبت لينين بعد بحثه لمسألة المبادرة الثورية ، وبالحجج العملية الدامغة ان انتصار الثورة الاشتراكية هو هراء خارج النشاط الابداعي الفعال للجماهير الشعبية والطبقة العاملة وقبل كل شيء لنشاط الحزب الشيوعي ومبادرته .

ان ضعف المبادرة لدى الحزب الثوري قد تؤدي الى ضياع الفرص الثورية التاريخية ، ذلك ان الرجعية هي الاخرى لديها القدرة على المبادرة ، اضافة الى كل مقومات قوتها من قوى اقتصادية ومؤسسات قمع منظمة في دولة . وقد حدث في تجارب عديدة ان كانت الظروف الموضوعية والذاتية للثورة ناضجة ، الا ان ضعف المبادرة الثورية ادى الى تأخير نشوب الثورة ، وبالنتيجة استطاعت الطبقات الرجعية التقاط انفاسها . لكن ضعف المبادرة يمكن ان يؤخر قيام الثورة ، لكنه ليس عاملاً في ارجائها الى ما لا نهاية . ذلك ان العملية الثورية تولد وبشكل حتمي قيادات طبقية حازمة وجريئة وقادرة على اتخاذ المبادرة في الوقت المحدد الذي يستلزم البدء بالثورة فعلاً .

وبصدد المبادرة الثورية ، عكست تجربة ثورة اكتوبر خبرة غنية في صراع البلاشفة العنيف مع شتى التيارات الانتهازية اليمينية واليسارية : اليسارية كانت تقول بضرورة استلام السلطة قبل ثورة شباط البرجوازية ، واليمينية طالبت بارجاء الثورة البروليتارية بعد نضوج ظروفها في الفترة ما بين شباط واكتوبر ١٩١٧ .

انّ لينين اذ يؤكد « ان الماركسية تطلب منا ان نأخذ بالحسبان على ادق وجه وبصورة يمكن معها التثبت من صحته موضوعياً ، النسبة بين الطبقات والخصائص الملموسة »(*) فأنه يؤكد ايضاً ان علائم الوضع الثوري واضحة بالنسبة للثوريين بما يكفي للمباشرة في العمل فوراً فكل « ثورة حقيقية تتصف بصفات رئيسية علمية وسياسية علمية ، ان الملايين وعشرات الملايين من الناس الغارقين في سبات سياسي ، والمرهقين بكدحهم الشاق في صالح ملاكي الاراضي والصناعيين قد

(*) لينين المختارات بعشرة اجزاء ـ المجلد ٦ ـ ص ـ ٣٤٥ ـ دار التقدم

استيقظوا وهم يطمحون الى السياسة »(*) .

وحين كان المناشفة يجادلون حول عدم نضج الظروف الثورية في روسيا في عام ١٩١٧ كان لينين يقول ان الثورة ممكنة تماماً ، وان الامر يتوقف على مبادرتنا « لان الوضع الاقتصادي والسياسي غني فوق العادة بالمواد الملتهبة وبالدوافع لاجل التهابها »(**) .

وكما حذر لينين من المغامرة اليسارية المتطرفة ، فانه حذر ايضاً من التأملية في النظر للعملية الثورية ، ونسيان دور المبادرة الثورية ، في اختيار الوقت المحدد للهجوم ضد الحكومات الرجعية . فالحكومات الرجعية لا تنهار من تلقاء ذاتها وحتى حين يظهر تشوش وارتباك في الحكومة الرجعية ، فان ذلك يرتبط بالمبادرة الثورية والنشاط الثوري الذي يدفع الحكومة الرجعية للحيرة والارتباك وفقدان القدرة على ادارة الامور بالشكل العادي . ان حيرة وارتباك الطبقات الرجعية تظهر بشكل مباشر على جهاز الدولة الذي يخدم مصالحها . وقد تظهر اثناء المبادرة الثورية بعض العلائم الخادعة . فكل طبقة رجعية في وضع الازمة الحادة ، تتخبط تحت ضربات الثورة . وهي في هذا التخبط قد تخدع الثوريين فيخرجون باستنتاجات سياسية خاطئة فحين يشتد الضغط الثوري ضد حكومة رجعية ، فسوف تلجأ هذه الحكومة الى استخدام كل ما لديها من قوة وارتكاب بشاعات وجرائم لا حصر لها ، وقد تنجح في اخماد هذا العمل الثوري المحدود ، أوذاك بالقمع المباشر الدموي ، كما تلجأ الى استعراض قوتها والى كل اساليب اخافة الجماهير وتثبيط هممها الثورية ، انها باختصار تزج بكل ما تبقى لديها من اسلحة في ارض المعركة الناشبة وهذا ما قد يؤدي لدى بعض الثوريين الى القول ، ان الدولة (الطبقة) ما زالت قادرة على الحياة ، وان المبادرة الثورية لم تأت في وقتها ، ولذلك فهي مغامرة ، ويجب اعادة تنظيم الصفوف بالانسحاب المنظم وانتظار فرصة اخرى ، وانه لا يمكن الاستمرار بالثورة الى النهاية .

(*) لينين : المختارات المجلد ١٠ ـ ص ـ ٤٥ ـ » التشديد من المؤلف «

**لينين : روح المغامرة الثورية ـ ص ١١ ـ ١٢ دار التقدم موسكو ١٩٧٥

ان الماركسية ـ اللينينية تعلمنا انه بمقدار ما يتضح ارتباك الدولة الموضوعة في خدمة طبقة مسيطرة يجب على الثوريين تشديد الهجوم بالنشاط الثوري المنظم وبذلك وحده ، تنكشف حقيقة الضعف المميت في جهاز الدولة الرجعي ، وتتحول مظاهر البطش الرجعية ، الى ما يشبه الزفرة القوية التي تسبق الموت .

حين كان المثقفون البرجوازيون الصغار ، يولولون نائحين على مذابح العمال بعد فشل كومونة باريس ، كان ماركس يشيد باولئك العمال الذين اقتحموا السماء بايديهم ، وفي نفس الوقت عيّن بدقة اخطاء الكومونة ، وكيف ان ثورييها لم يفهموا بشكل مبكر ضرورة تحطيم سلاح البرجوازية بشكل نهائي ، أي دولتها بعسكرها ودواوينها وسجونها وقوانينها . فالخطأ لم يكن في مبادرة عمال باريس الثورية ، كان الخطأ في عدم امتلاك الثوريين نظرية علمية لقيادة العملية الثورية بنجاح والسير بها للنهاية الظافرة .

الفصل الخامس

حقيقة التحالف بين العمال والفلاحين

تعد مسألة التحالف بين العمال والفلاحين من المسائل الهامة في تكتيك وستراتيجية نضال الطبقة العاملة الثوري ضد البرجوازية ومن اجل اقامة الاشتراكية .

واذ صاغ مؤسسا الاشتراكية العلمية ماركس وانجلز ضرورة التحالف بين العمال والفلاحين ، فانهما وضعا هذا الحلف على اساسة الاقتصادي ـ الاجتماعي ، وبعد دراسة معمقة لطبيعة الانتاج وعلاقات الانتاج الزراعية في الريف وتأثير صعود الرأسمالية على بنية الفلاحين الطبقية والتغييرات التي حصلت في الانتاج وفي كسر التصنيف الطبقي الاقطاعي في الريف .

ومنذ فترة مبكرة من القرن التاسع عشرة تغلغلت العلاقات الرأسمالية في الريف الاوروبي ، وحطمت في طريقها نمط الاقتصاد الطبيعي القائم على اكتفاء القرية بانتاجها وعدم وجود علاقات نقدية بين الفلاحين . وباستنثاء روسيا القيصرية ، جرت هذه العملية بوتيرة سريعة في الغالبية العظمى من بلدان اوروبا .

انطلقت الاشتراكية العلمية في رؤيتها حتمية وضرورة حلف العمال والفلاحين من واقع ان الرأسمالية لا تستغل فقط العمال استغلالاً قاسياً ، بل ايضاً وبنفس الدرجة فئات كبيرة من الفلاحين في الريف . وان مصالح فئات كادحة من الفلاحين ، هي في آخر المطاف ، مصالح تقترب من مصالح الطبقة العاملة ، في القضاء على الاستغلال بكافة اشكاله في المدينة والريف .

مع صعود الـرأسمالية ، تدهورت فئات فلاحية كثيرة العدد في الريف وحل محل الانقسام الطبقي القـديم ، فلاح ـ اقطـاعي ، انقسـام طبقي جديـد في الريف . وظهـر تمايـز واضـح في وضع مختلف فئات الفلاحين فاوجدت الرأسمالية البر وليتاريا الـزراعيـة ، وشبـه الـبر وليتـاريـا العـاملة في الريف ، كما اوجدت صغار الفلاحين المالكين لقطعة ارض صغيرة يستثمرونها (بحرية) ، وظهرت فئة جديدة من اغنياء الفـلاحـين واستمـرت في الوجود فئة المالكين العقاريين في الريف ، واضافة الى كل هذه الفئـات شقت طريقهـا على انقـاض خراب جميـع فئات الفلاحين البرجوازية الفـلاحيـة الحـديثـة . وادى صعود الرأسمالية الى تحويل اعداد غفيرة من الفلاحين الصغار الى احتياطي سكاني للطبقة العاملة . فالفلاح الصغير لا يستطيع الصمود طويلاً في البقاء مالكاً صغيراً في حمى التنافس الطبقي في الريف ، وكونه فلاح يملك اضـافـة الى قوة عمله قطعـة الارض الصغيرة ، تجعل مصيره النهائي واضح ، من واقـع انـه لا يستطيـع تأمـين الآلات الـزراعية ولا الاسمدة لزراعة استماراته بشكل مجدي ، فينحدر في اطار التنافس مع الانتاج الرأسمالي الكبير في الريف الى صفوف الـبر وليتـاريـا الـزراعيـة (عامـل زراعي دائم ، اومياوم) أوينتقل من الريف الى المدينة وراء لقمة الخبز وبذلك يعزز صفوف الطبقة العاملة في المدينة .

لقـد رأي ماركس وانجلز ان الاســاس المـادي لحلف العـمال والفـلاحـين ينشأ بالـدرجـة الاسـاس من واقع وجود بروليتاريا زراعية . لكن هذا الحلف ، لا يقتصر بأيّ حال من الاحـوال ، على بروليتـاريـا المـدينـة والـريف . فالجمهرة الغفيرة من الفلاحين هم المالكون الصغار الذين ما زالت تهددهم الرأسمالية بالخراب الشامل . ولهذا فقد شن ماركس وأنجلز نضالاً فكرياً وسياسياً طويلاً من اجل رسم سياسات صائبـة في معـالجة مشاكل الريف . وبالدرجة الاساس نضال الاحزاب العمالية من اجـل اقنـاع صغـار الفـلاحين بان مصيرهم واضح في ظل الرأسمالية ، وهو الخراب وفقـدان قطعـة الارض ، وتبصيرهم بان مصـالحهم الحقيقيـة تنسجم مع مصـالـح الـبر وليتـاريـة في النضال ضد الرأسمالية ككل ، وضد البرجوازية الريفية والملاكين العقـاريـين بشكـل خاص . « ان تطـور شكل الانتاج الرأسمالي قد بتر عصب حياة الانتاج الصغير في الزراعة ، وهذا الانتاج الصغير يسير بسبيل الهلاك والتدهور بلا

مرّد »(*) .

قرنت الاشتراكية العلمية بشكل لا ينفصم بين تحالف العمال والفلاحين وبين الدور القيادي للطبقة العاملة في هذا الحلف . ولم يكن ذلك نتيجة رغبة . اذ ان جماهير الفلاحين الغفيرة ابعد ما تكون عن الانسجام ، فهي مشتتة بنتيجة طبيعة الانتاج الزراعي ذاته ، والصلات بينها ضعيفة ، وتعاني من التخلف والجهل ، والآثار الكبيرة لنفسية المالك الصغير ، وما تؤدي اليه من تقديس الملكية الخاصة ، يضاف الى ذلك عدم الانسجام الكبير بين فئات الفلاحين انفسهم ، وبعدهم بهذه الدرجة أو تلك عن وسائل الانتاج الحديثة ، وضعف ثقافتهم بتأثير التفاوت بين المدينة والريف . كل هذه العوامل الموضوعية والتراثية ، تجعل قيادة العمال والفلاحين ، في اطار حلفهم الطبقي ، قضية موضوعية بدونها لا يرسى هذا الحلف الطبقي ، على اساس حقيقي وثابت . وقد شن لينين نضال لا هوادة فيه ضد مفهومين بصدد علاقة الطبقة العاملة بالفلاحين ، ومسألة التحالف بينهما .

المفهوم التحريفي الاول كان يقول ان الفلاحين ونتيجة لطبيعة الانتاج السائدة في الريف ، وكل العوامل التي سبق الاشارة اليها ، وكونهم يقدسون الملكية الخاصة ويصعب عليهم تفهّم ان مصدر كل استغلال هو هذه الملكية ، فانهم بمجملهم قوة معادية للثورة ، قوة رجعية على البروليتاريا ان تناضل ضدها كما تناضل ضد البرجوازية في المدينة . ويعكس هذا الفهم غياب التحليل الطبقي العلمي لانقسام الفلاحين الحقيقي الى فئات مختلفة ، فئات كادحة ، واخرى استغلالية ، وخطورته الحقيقية في انه يدعو الطبقة العاملة لان تناضل ضد البرجوازية وتضع خلف ظهرها الغالبية العظمى من السكان وهم الفلاحون . وواضح ان هذا المفهوم لا يضع في الاعتبار اية مراحل انتقالية يجب ان تمر فيها الثورة سواء في المدينة أو في الريف ، وكأنه بذلك يريد اقامة الاشتراكية ، بين ليلة وضحاها . وفي الناحية السياسية المباشرة يؤدي هذا المفهوم الى مزيد من انعزال الفلاحين وعدم مساهمتهم في النضال ضد الرأسمالية ، ومن اجل الاطاحة بسلطة البرجوازية ويتركهم يعانون

(*) انجلز : مسألة الفلاحين في فرنسا والمانيا - المختارات - الجزء ٤ ص - ٧١ -

الاستغلال والخراب و« يتحملون قضيتهم لوحدهم » . فند لينين هذه المزاعم بالاستناد الى خبرة الثورة الروسية نفسها . واظهر حقيقية ان العمال والفلاحين الروس ارسوا اسس تحالفهم في فترة مبكرة في وجه القيصرية ، ابان ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ ، وان الفلاح والعامل سارا معاً وحققا انتصار ثورة اكتوبر وان حلفهما هو الذي مكن الثورة من الثبات والانتصار في المعارك ضد الرجعية الداخلية ابان الحرب الاهلية وفي صد الامبرياليين الخارجيين ، بعد الثورة مباشرة . وانعكس الفهم الماركسي - اللينيني لقضية تحالف العمال والفلاحين ، في اولى الاجراءات التي اتخذتها ثورة اكتوبر ، باصدار مرسوم الارض الذي تم بموجبه توزيع الاراضي على الفلاحين في المرحلة الاولى الانتقالية من الثورة ، الامر الذي وطدّ على اساس مادي حلف العمال والفلاحين من خلال القضاء على الاستغلال الاقطاعي والرأسمالي الذي كان سائداً في الريف الروسي . ولاحقاً مرت مسألة حل المسألة الزراعية ، وتوطيد حلف العمال والفلاحين بمراحل انتقالية استمرت فترة طويلة من الزمن كانت نهايتها ، سيادة الملكية العامة والتعاونية في الزراعة في كل الاتحاد السوفياتي . ولهذا فقد اكد لينين ان على حزب الطبقة العاملة ان يقدم في حل المسألة الزراعية برنجاماً ديمقراطياً خالصاً في المرحلة الاولى من الثورة . وأشار ، الى ان البلاشفة لم يفعلوا شيئاً سوى انهم اخذوا برنامج حزب الثوريين الروس البرجوازي الصغير ، وطبقوه بالفعل في الريف . وأمنوا كل القوة اللازمة ، الاجتماعية والسياسية ، من اجل ان يشعر الفلاحين ان الطبقة العاملة وحزبها هما الوحيدّان القادران حقاً على البدء في الخطوة الاولى لاجتثاث الاستغلال الواقع على كاهلهم .

ثاني المفاهيم الخطرة ، المناوئة للماركسية - اللينينية ، تلك المفاهيم المنطلقة من تضخيم دور الفلاحين الثوري ، ورؤيته باكبر من حقيقيته الفعلية . وتقوم هذه المفاهيم ، على القول ان الفلاحين وهم الاغلبية الساحقة بين السكان في عشرات البلدان ، يتعرضون للاستغلال المزدوج : استغلال امبريالي استعماري واستغلال طبقي داخلي . وهذا ما يفسر ان هذه المفاهيم وجدت في بلدان نامية وترعرعت فيها ، منطلقة من واقع ان الفلاحين في هذه البلدان يكونون الاغلبية « الجائعة »

وبالزعم ان العمال في المستعمرات اقل استغلالاً من الفلاحين ، لان العمال يتمتعون بنعم الحضارة في المدينة ولان مدخولاتهم اكبر من مداخليل الفلاحين في الارياف . وليس ثمة حاجة للاشارة الى ان هذه الافكار تغفل على عمد التمايز بين الفلاحين في البلدان النامية ايضاً، وتنظر اليهم باعتبارهم كتلة واحدة، وانها تحاول ان تجعل من ضعف نمو الطبقة العاملة في العديد من هذه البلدان نتيجة ضعف تطور الرأسمالية فيها وكأنه امر ابدي ، ففي البلدان النامية أيضاً تشق الرأسمالية طريقها بشكل متفاوت بين بلد وآخر من حيث السرعة والوتيرة ، ويتعرض الفلاح الصغير ، الى الخراب ، مع خراب فئات فلاحية قديمة من بقايا الاقطاع اضافة بالطبع الى انتهاء الملكيات الاقطاعية القديمة في العشرات من البلدان التي جرت فيها اصلاحات برجوازية في الريف باصدار اصلاحات زراعية ديمقراطية برجوازية بعد انتصار ثورات التحرر الوطني . ونجد الرأسمالية في البلدان النامية لا يؤدي فقط الى المزيد من انقسام الفلاحين فئوياً فحسب ، بل ايضاً الى زيادة وزن الطبقة العاملة عددياً واجتماعياً وسياسياً . وفي العشرات من البلدان تلاحظ في المرحلة الراهنة خارطة فلاحية مشابهة بهذه الدرجة أو تلك للخارطة الفلاحية التي كانت سائدة في بداية وعند منتصف القرن التاسع عشر في بلدان اوروبا الغربية . وبالطبع هناك فوارق جوهرية بين التطور الكلاسيكي للرأسمالية في البلدان الاوروبية ، وبين تطورها في البلدان النامية ، ذلك ان التطور في الاخيرة ، يجري في ظروف نضال ضارٍ ضد الاستعمار تساهم فيه طبقات وفئات اجتماعية عديدة ، تلعب فيه الطبقة العاملة ، والفئات الوسطى في المدينة ادواراً بارزة . الا ان كل الفروقات الواقعية الملموسة في تطور هذه البلدان ، لا يقلل من صحة المفهوم العلمي عن تحالف العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة في البلدان النامية ايضاً في عصرنا الراهن .

ما زال الفلاحون يكونون النسبة الغالبة من السكان في معظم البلدان النامية ، وهم ايضاً منقسمون على انفسهم ، ويعاني صغارهم استغلالاً بشعاً نتيجة ضعف آلية التطور الرأسمالية من ناحية ، وظروف الاستغلال الاقطاعي وشبه الاقطاعي ، والاستغلال الاستعماري ايضاً . وهذا ما يفسر الدور الثوري الذي يقوم به الفلاحون في البلدان النامية . حيث يساهمون بنشاط في كفاح شعوبهم من اجل

التحـرر الـوطني ، ويأخـذ هذا النضال بهذه الدرجة أو تلك وجهة معادية للراسمالية ايضـاً . ومما يعـزز حلف العمال والفلاحين في البلدان النامية ، انه في جميع البلدان التي جرت فيها اصلاحات زراعية برجوازية ، نمت بروليتاريا ريفية اصبحت رديفاً للبروليتاريا في المدن .

وشدة الاستغلال الذي يتعرض له صغار الفلاحين في هذه البلدان عامل مساعد لخلق مزاج ثوري بين صفـوفهم . الا ان ذلـك على اهميتـه لا يعني ان الفـلاحـين يقـومـون بالـدور الحاسم في النضال من اجل التقدم الاجتماعي والاشتراكية ، ففي البلدان النـاميـة ايضـاً لا يستطيـع الفـلاحـون ان يكـونوا حركاتهم الثورية الخاصة القـائمـة على اسس الاشـتراكيـة العلميـة ، وهم بحاجة الى من يقودهم ، وتقوم الطبقـة العـاملة بهذا الـدور . وواضـح تمامـاً ان مسألـة اقـامة وارساء حلف العمال والفلاحين تجري في البلدان النامية وسط صعوبات استثنائية نمتها طبيعة تطور هذه البلدان ونسبة مساهمة مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية في النضال ضد الاستعمار أو في النضـال الطبقي من اجـل الاشـتراكيـة .

وقد اصبح الان لدى

حركـات التحـرر خبرة كبـيرة وغنيـة وفـرهـا ثورات اشـتراكية ظافرة في بلدان آسيا

وافريقيا وامريكا اللاتينية ، أي في بلدان شبيهة ظروفها الاقتصادية ـ الاجتماعية بظروف عموم بلدان القارات الثلاث . ونجد في تجارب فيتنام وكوبا وغيرهما بوجه خاص ، ذلك الربط المحكم بين مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية وبين الثورة الاشتراكية ، وفي كافة هذه البلدان جرى أرساء تحالف العمال والفلاحين في معمعان النضال ضد الامبريالية والرجعية الداخلية ، وقامت الطبقة العاملة رغم انها ليست اكبر الطبقات ، بقيادة حلف العمال والفلاحين والشغيلة في هذه البلدان . ومن الهام الاشارة الى انه لم تظهر لحد الان ، وسوف لن تظهر تجربة ما ، تؤكد انه بالامكان بناء الاشتراكية دون قيادة الطبقة العاملة وتحالفها المتين مع الفلاحين ومختلف فئات الشغيلة . ولا تختلف تلك البلدان ذات التوجه الاشتراكي ، التي تقود سلطة الدولة فيها ديمقراطية ثورية ، عن هذا التحديد . ذلك ان الديمقراطيين الثوريين ، في التجارب الناجحة ، للسير صوب الاشتراكية قد مروا في دوامة من التغيرات السياسية النوعية ، جعلتهم ينتقلون الى مواقع الطبقة العاملة ويحملون لواء الاشتراكية العلمية ، وادى ذلك في العديد من البلدان الى قيام الطبقة العاملة بقيادة التحالفات الثورية في مجرى عملية معقدة . وفي كل البلدان التي زعمت فيها البرجوازية الصغيرة انها تتجه نحو الاشتراكية دون ان تنتقل الى مواقع الطبقة العاملة ، حصلت ارتدادات رجعية صرفت هذه البلدان ليس فقط ان طريق التوجه الاشتراكي والتقدم الاجتماعي ، وانما ايضاً عن النضال الوطني العام ضد الامبريالية .

يمر الفلاحون بتطورات عميقة في عصرنا الراهن . ففي البلدان الرأسمالية المتطورة تضاءل عدد الفلاحين الى درجة كبيرة جداً ، وادت الثورة العلمية التكنيكية الى تحويلهم الى بروليتاريا وإجراء ، واضمحلت بشكل نهائي الاستثمارة الصغيرة الفلاحية في الزراعة لتحل محلها المزارع الرأسمالية الكبيرة المتخصصة ، وادى هذا التطور الى وضع قضية تحالف العمال والفلاحين في البلدان الرأسمالية ، باعتبارها قضية ناضجة موضوعياً بل وفي ذروة الكمال . فالعامل في المدينة ، يبيع قوة عمله للرأسمالي ، والبروليتاري في الريف يبيع ايضاً قوة عمله التي لا يملك غيرها ، وادت الثورة العلمية التكنيكية بالضرورة الى رفع وعي العامل الزراعي

الـذي يجب عليـه ان يعمـل ويـديـر آلات حديثـة ويتقن الفنون العلمية للزراعة ، وبنتيجـة ذلـك اختفى الفلاح القديم ، المنعزل والجاهل ، والذي يناضل من اجل الاحتفـاظ بقطعـة الارض الصغـيرة التي يملكهـا ، وانقلب العـمال الـزراعيون في البلدان الـرأسـمالية الى قوة تواجه الاحتكارات ، أي الرأسمالية وجهاً لوجه وبشكل مباشر وهذا جميعه وفر الارضية الكاملة لتلاحم نضال عمال الزراعة وعمال الصناعة .
الا ان هذه الـتطـورات ، في الـواقـع ، قد جعـلت من مسألـة تحالـف العـمال والفـلاحـين ، مسألة على اهميتها ، لكنها ليست اكثر المسائل الحاحاً في التحالفات بين الطبقـة العـاملة وبقيـة الطبقات والفئات الاجتماعية في الرأسمالية المتطورة . ان ظهـور الشـرائـح الـوسطى وقيـامهـا بدور كبـير اجتـماعي وسيـاسي في الـرأسـمالية المعـاصـرة ، والتغيـيرات التي حصلت داخـل الفئات التقليدية في المدينة ، جعلت الاحـزاب العـماليـة في البلدان الـرأسـمالية المتطورة تولي قضية التحالف مع الفئات الوسطى الاهمية الاولى . وبالطبع دون ان تغفل اهمية التحالف بين الفلاحين والعمال .

ومـا زال الامـر في بلدان العـالم الثـالث مختلفـاً . حيث ما زال الفلاحون يكونون نسبـة كبـيرة من السكان في العشرات من البلدان . ومن الصعب وضع وصف عام لعمليات اقامة تحالف العمال والفلاحين في البلدان النامية . ففي كل بلد على حدة جرت تطورات تختلف بهذه الدرجة او تلك عن التطورات في بلد آخر ، ومست هذه التطـورات الحيـاة التقليـدية للفلاحين بدرجات متفاوتة ايضاً . وبشكل عام تشهد هذه البلدان تراجع عددي يسير بالاضطراد للفلاحين من المجموع العام للسكان . ويتعـزز بذلـك دور الطبقـة العـاملة في المـدينـة التي تستقبـل الفلاحين بعد خرابهم وهروبهم من الارياف . لكنه من الصحيح ايضاً القول ان نسبة الفلاحين في البلدان النامية ما زالت كبيرة جداً . وان اهمية وحيوية نضال الطبقة العاملة من اجل توطيد حلف العـمال والفـلاحـين السيـاسي والطبقي لا زالت تحتفـظ بكامل اهميتها . وفي العـديـد من البلدان ستضع احزاب الطبقة العاملة في برامجها ، اضافة الى النضال ضد الـرجعيـة والاستعمار ، مسألة حل القضية الزراعية حلاً ديمقراطياً جذرياً . اذ شهدت عشرات الدول النامية اصلاحات زراعية مختلفة من حيث طابعها الجذري

وكونها قد مست بعمق كافٍ كافة العلاقات الانتاجية القديمة الاقطاعية في الريف ام لا . وفي البلدان التي جرى فيها اجتثاث العلاقات الاقطاعية نهائياً من الريف ، وسار الريف في طريق العلاقات الرأسمالية ، تطرح احزاب الطبقة العاملة في مهمات ديمقراطية عامة واحياناً اشتراكية . اذ يجري النضال من اجل اشاعة التعاونية في الريف والدعوة لاقامة مزارع الدولة ، وفي نفس الوقت الترويج لمفاهيم محددة بين الفلاحين انفسهم من اجل مساعدتهم في مواجهة الاستغلال الرأسمالي الحديث الظهور في الريف ، ورفع شعارات مطلبية من اجل تلبية حاجاتهم الاقتصادية اليومية وزجهم عبرها في النضال ضد الرأسمالية المحلية . كما ان هناك بلدان اخرى تجد فيها الطبقة العاملة نفسها تخوض النضال الى جانب الفلاحين ضد الاقطاع والملكيات العقارية الكبيرة في الريف ، أو ضد بقايا الاقطاع ، وفي هذه الحالات تُطرح برامج ديمقراطية عامة تدعو الى اصلاحات جذرية لاجتثاث بقايا العلاقات الاقطاعية .

الامر الجوهري في البلدان النامية ، ان غالبيتها شهدت ولادة البروليتاريا الزراعية التي يتنامى دورها في الريف مع تنامي دور الطبقة العاملة في المدينة ، أي ان الاساس المادي الحقيقي لاقامة حلف العمال والفلاحين وتوطيده اكثر فاكثر في مرحلة التحرر الوطني وقد وجد وانه يتطور باستمرار لصالح هذه الحلف الثوري .

الفصل السادس

قوى الثورة العالمية الثلاث

العلمية الثورية العالمية المعاصرة ، هي تيار موحد للنضال ضد الامبريالية تصب فيه ثلاثة روافد اسياسية هي :

١ ـ شعوب النظام الاشتراكي العالمي التي تبني الاشتراكية والشيوعية .

٢ ـ حركة التحرر الوطني العالمية ونضال الشعوب المضطهدة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد من اجل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي .

٣ ـ الحركة الثورية للطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية .

تساهم كل حركة من هذه الحركات الثلاث في النضال العالمي العام ضد الامبريالية ، وتحل كل واحدة منها مهمات النضال التي تواجهها بطرق ملموسة ، تختلف بهذه الدرجة أوتلك عن بعضها البعض ، الا انها جميعاً تصب في مجرى واحد هو نسف دعائم الرأسمالية العالمية ودفع مسيرة الثورة العالمية للامام نموها الاشتراكي والشيوعي . وتناضل الحركات الثلاث كقوة موحدة في عصرنا ، ووحدتها هي الضمانة الاساسية لنجاح قضية السلم والتقدم والاشتراكية .

وسوف نقوم بشرح دور واهمية وطبيعة كفاح كل حركة وكذلك نشوئها وتطورها وتأثيرها على العملية الثورية العالمية .

١ ـ نشوء وتطور نظام الاشتراكية العالمي :

نشأت الدولة الاشتراكية الاولى في العالم عام ١٩١٧ نتيجة نجاح ثورة اكتوبر العظمى . وفي عام ١٩٢١ سارت منغوليا الشعبية في طريق الاشتراكية بمعونة

الاتحاد السوفياتي . وعقب الحرب العالمية الثانية ، نشأ النظام الاشتراكي العالمي بانضمام دول اخرى الى الاسرة الاشتراكية ، بعد ان تخلصت من نير الرأسمالية وولجت طريق بناء الاشتراكية في عام ١٩٦٢ ارتفعت منارة الاشتراكية في الجزء الغربي من العالم فقامت دولة كوبا الاشتراكية .

وفي اعوام لاحقة ، انضمت ثلاث بلدان اخرى للاسرة الاشتراكية العالمية في آسيا (فيتنام وغيرها) في مجرى كفاح شاق ضد الامبريالية . ويضم نظام الاشتراكية العالمية الان خمسة عشر دولة صغيرة وكبيرة تمتد على مساحات واسعة ، من اوروبا وامريكا وآسيا وامريكا اللاتينية وخلال فترة زمنية قصيرة نسبياً تحولت غالبية البلدان الاشتراكية الى بلدان عصرية متطورة ذات صناعة جبارة وزراعة مزدهرة وحققت نجاحات ملهمة لشعوبها ورفعت مستوى معيشة الشغيلة وحققت تقدماً سريعاً للعلم والثقافة .

ان نظام الاشتراكية العالمي ، الان هو اسرة لدول وشعوب حرة ، توحدها جامعة الاهداف والمصالح والعرى التي لا تنفصم للتضامن الاممي الاخوي ، وتقوم بينهما علاقات من طراز جديد نوعياً في التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري وفي كافة مناحي الحياة فيها . وتعتبر الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الاساس الاقتصادي للاسرة الاشتراكية . اما اساسها السياسي فهو سلطة الشعب بقيادة الطبقة العاملة واحزابها الشيوعية وتقوم على الاساس الايديولوجي الواحد : العقيدة الماركسية ـ اللينينية . ان المبادىء الاساسية للعلاقات بين الدول الاشتراكية ، هي المساواة التامة ، للدول كبيرها وصغيرها ، وعدم التدخل في شؤون بعضها البعض واحترام سيادة واستقلال اراضي كل بلد ، والمساعدة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، المتبادلة بين اعضاء الاسرة الواحدة . ان عملية التقارب بين الشعوب الاشتراكية ، التي تتم على ضوء المبادىء الانفة ، هي قانون موضوعي لتطور النظام الاشتراكي العالمي .

ان اشكال تقارب وتعاون شعوب البلدان الاشتراكية ذات صبغة متعددة ، ففي المجال الاقتصادي تتعاون البلدان الاشتراكية بجميع الصور في اقامة صناعتها العصرية وضمان التطور السريع للاقتصاد ورفع انتاجية العمل وفي تأمين الرخاء

المادي والثقافي للشغيلة وكذلك التعاون في اعداد الاختصاصيين وشغيلة العلم . وقد تطور في السنوات الاخيرة بين البلدان الاشتراكية ، التعاون الانتاجي المباشر ، ويوجد انعكاسة في الخطط الاقتصادية الموضوعة في كل بلد ، وعلى نطاق البلدان الاشتراكية جميعها . ويقوم هذا التعاون على اساس التخصص واشاعة التعاون في الانتاج ، ويتم التعاون المباشر باتفاقيات ثنائية وجماعية عن طريق مجلس التعاضد الاقتصادي والمساعدة المتبادلة (سيف) الذي اقيم عام ١٩٤٩ وهو المنظمة الاقتصادية للبلدان الاشتراكية الاوروبية .

وفي اطار الخطط المشتركة والتعاون يجري استغلال موارد الطاقة والخامات وتطوير فروع صناعات مشتركة والتكامل في صناعات اخرى ، كما يجري تقديم العون المتبادل في انشاء صناعات ضخمة في هذا البلد أو ذاك تخدم اقتصاد البلد واقتصاد البلدان الاشتراكية كافة ـ ومن امثلة المشاريع الاقتصادية الضخمة بين البلدان الاشتراكية انبوب النفط الهائل « الصداقة » الذي بوشر باستثماره منذ سنوات والذي اقيم بجهود مشتركة من قبل الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا وهنغاريا والمانيا الديمقراطية ويبلغ طول الانبوب ٤٥٠٠ كلم ويمتد من الفولغا في الاتحاد السوفياتي حتى جمهورية المانيا الديمقراطية . وجرى استثمار العديد من المشاريع الكبرى المشتركة وتطوير انشاء عشرات المشاريع المشتركة التي تخدم الخطط الاقتصادية للاسرة الاشتراكية . ويتعاظم تبادل السلع بين الدول الاشتراكية كافة . كما يتخذ التعاون التكنيكي والعلمي نطاقاً اوسع فأوسع ، وتتطور علاقات التعاون الصحي بين المؤسسات العلمية في كافة البلدان الاشتراكية ، ان اشكال التعاون المتعددة بين بلدان الاسرة الاشتراكية ، يعطي امكانية الاسراع في انهاض اقتصاد كل البلدان بوتائر سريعة ويجنب تكرار انشاء مؤسسات صغيرة ذات قيمة انتاجية ضئيلة في كل بلد على حدة ، ويزود الاقتصاد الاشتراكي ككل بالكوادر العلمية والمعدات العلمية والتكنولوجية .

وتقوم بين الاسرة الاشتراكية علاقات تعاون سياسي وطيدة تساهم في انتهاج خطة موحدة ومشتركة للتأثير في حل القضايا الاجتماعية الهامة في المجال الداخلي والخارجي ، وتنسيق النضال الموحد ضد الرجعية والامبريالية ، ومن اجل صيانة

السلم ولجم الامبرياليين والسير بثبات في بناء الاشتراكية والشيوعية .

وبالارتباط مع الصراع على الساحة الدولية بين الاشتراكية والرأسمالية وما يتطلبه ذلك في تنسيق وتعاون في الجهود لمواجهة الاخطار الامبريالية وتقديم العون لحركات التحرر الوطني المكافحة ضد الاستعمار ، نمت وتطورت علاقات تعاون عسكري وثيقة بين البلدان الاشتراكية في اطار « معاهدة وارشو » ويمثل الان التعاون في هذا المجال درعاً اميناً لحماية منجزات شعوب البلدان الاشتراكية وللدفاع عن السلام العالمي ، وتقديم العون لكافة الشعوب المناضلة ضد الامبريالية .

وتتطور علاقات التعاون الثقافي باضطراد بين بلدان الاسرة الاشتراكية ويجري اغناء ثقافة كل شعب باستمرار على انفراد وتطوير الثقافة الاشتراكية ككل . مما لا شك فيه ، ان توطيد وحدة النظام الاشتراكي العالمي ، هو العامل الحاسم ليس فقط في المحافظة على مكتسبات الشعوب الاشتراكية ، وانما ايضاً في السير اللاحق نحو بناء الاشتراكية المتطورة والشيوعية ، وفي حماية والدفاع عن المنجزات المتحققة والتأثير بقوة المثل الملهم على مسيرة التطور الثوري العالمي ، وفي لجم الامبريالية وحماية السلم العالمي . وتقوم وحدة النظام الاشتراكي العالمي على اساس الاممية البروليتارية والماركسية ـ اللينينية المجربة .

ان النضال ضد الامبريالية ومن اجل انتصار الاشتراكية والشيوعية على الارض هو الهدف المشترك لدول الاسرة الاشتراكية . وللوصول الى هذا الهدف فان شعوب الاسرة الاشتراكية تتعاون فيما بينها في حل كافة المصاعب التي تظهر في مجرى العمل والتعاون ، بروح اخوية . ذلك ان الميل الموضوعي للتقارب والتعاون بين البلدان الاشتراكية ، لا يجري بشكل عفوي ، من ناحية ، كما من ناحية اخرى يواجه ايضاً صعوبات ناتجة عن تعقيد المهام والخصائص المحلية . ان نشوء وتطور الاسرة الاشتراكية عملية معقدة ومستمرة ، وهي معقدة لان هذه الاسرة تضم بلداناً ذات مستويات مختلفة في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والنقابية وذات ماضي تاريخي مختلف وعادات وتقاليد شعبية متنوعة ، والتعقيد يأتي ايضاً من الواقع ان العلاقات التي يجري اقامتها بين هذه البلدان علاقات جديدة كلياً على المجتمع البشري اذ لم يعرف تاريخ البشرية نمط للعلاقات بين الدول كالنمط الذي يجري

ارساؤه الان وكل جديد وغير مجرب هو صعب ومعقد . وفي مجرى التقارب بين الشعوب الاشتراكية تظهر الحاجة للتغلب على مخلفات القومية البرجوازية و« ضيق الافق المحلي » بين السكان والتي يصعب استئصالها بسهولة . ان الوحدة والتلاحم بين البلدان الاشتراكية صمدت امام تجربة الزمن ، وهي تتوطد باستمرار وتغتني بتجارب جديدة ، تضاعف قوة الاشتراكية . واليوم تقف الاسرة الاشتراكية على الساحة الدولية قوة موحدة جبارة في الخندق المواجه للامبريالية ، وتتحمل المسؤولية الاولى في الدفاع عن الاشتراكية والتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي وتقدم ايضاً المثل الثوري الملهم الذي يؤثر على مجرى العملية الثورية العالمية ويساعد حركة البشرية نحو المستقبل الاشتراكي .

لقد ركز لينين في نضاله ضد الانتهازيين اليساريين على ان قوة الاشتراكية ، هي قوة المثل الملهم ، وان الثورة لا تجرى صناعتها هنا وتصديرها الى هناك . فقط في قوة المثل الثوري ، وفي توضيح حقيقة افضليات الاشتراكية والشيوعية امام الشعوب تتقدم البشرية نحو مستقبلها الحتمي ، وشدد لينين ايضاً انه يجب على البروليتاريا المنتصرة ان تمد يد العون لبروليتاريا البلدان الاخرى ، ولكل الشعوب المضطهدة التي تهب للكفاح ضد الامبريالية .

ان الاشتراكية والشيوعية اليوم تشكل مثالاً باهراً على تصفية الاستغلال وكل انواع الاضطهاد ، ومن اجل التغلب النهائي على التخلف الاقتصادي والاجتماعي ، مثالاً على التنظيم الديمقراطي الحقيقي للمجتمع وخلق ظروف حياة مضمونة للشغيلة ، مثالاً على حل المسألة القومية وحل المسألة الزراعية لصالح الفلاحين الكادحين ، ومثالاً على اقامة صداقة حقيقية بين الناس ، بين الشعوب .

وتؤثر الاشتراكية العالمية ، تأثيراً حاسماً ومباشراً ، على التطور العالمي ، وتكتسب نجاحاتها على كافة الاصعدة وفي التنافس مع الرأسمالية اهمية مستقبلية في مسار تطور الثورة العالمية .

فرغم ان ثورة اكتوبر انتصرت في بلد من اكثر البلدان الرأسمالية تخلفاً ، ورغم التدمير الذي عم الاقتصاد السوفياتي بتأثير حربين عالميتين وحرب اهلية قاسية ،

فقد حققت الاشتراكية فيه انتصارات باهرة خلال فترة زمنية قصيرة . في عام ١٩١٧ كان نصيب الاتحاد السوفياتي ٣٪ من الصناعة في العالم . في عام ١٩٣٧ ارتفع نصيبه منها الى ١٠٪ وخلال ١٥ سنة فقط قطع الاتحاد السوفياتي طريقاً قطعته الدول الرأسمالية بعشرات السنين ، في عام ١٩٦٥ بلغت نسبة الصناعة السوفياتية من الصناعة العالمية ٢٠٪ ، أي خمس ما انتجته جميع دول العالم من انتاج صناعي ، وفي السنوات اللاحقة ارتفعت وترتفع هذه النسبة باضطراد . ويبلغ انتاج البلدان الاشتراكية الصناعي كافة عام ١٩٦٥ ، ٣٨٪ من مجموع الانتاج الصناعي في العالم .

ان العامل المميز والجوهري في تطور البلدان الاشتراكية ، هو ان التقدم العصري الهائل ، يجري في اطار علاقات انتاجية واجتماعية جديدة ، ان الدول الرأسمالية تحقق تطورها باستغلال شغيلة بلدانها وشغيلة عشرات الشعوب الاخرى ، في حين يجري في النظام الاشتراكي العالمي ، تطوير الاقتصاد بجهود الشغيلة ودون استغلالها ودون استغلال للشعوب الاخرى ، حيث توضع كل منجزات التقدم في خدمة الشغيلة ، على النقيض مما هو في الدول الرأسمالية اذ ان اية زيادة في الانتاج نعني زايدة في ارباح حفنة من المالكين الكبار ، ومزيد من الانكار للشغيلة .

يبلغ المجتمع الاشتراكي اكمل صور تطوره في مرحلة الاشتراكية المتطورة . وهي الطور الاول من الشيوعية . ويتحول المجتمع الاشتراكي في هذه المرحلة الى اعقد جسم اجتماعي بلغت فيه العمليات الاقتصادية الاجتماعية ـ السياسية ـ والعلمية والتكنيكية درجة رفيعة من النضوج والوحدة .

ففي ميدان الاقتصاد تمتاز الاشتراكية الناضجة بالانتاج المتطور ديناميكياً ، ويقوم على احدث قاعدة ماديه تكنيكية اما الناحية البشرية فيمثلها العمال والكولخوزيون والاخصائيون والعلماء ذوو الكفاءة الرفيعة . في الميدان الاجتماعي ـ السياسي تتمثل الاشتراكية المتطورة بدولة الشعب باسره التي تعبر عن مصالح وارادة عموم الشعب .

وفي الميدان الروحي تسود الايديولوجيا الماركسية ـ اللينينية ، ويتوفر مستوى رفيع

لتطـور التعليم والثقـافـة . ان اهم مكسب للاشتراكية المتطورة التي تبنى في الاتحاد السـوفيـاتي الان هي الانسـان الاشتراكي الوطني المتوقد والاممي الثابت ، الانسان الذي ينمو في جو روحي واجتماعي فائق الرقي اخلاقياً وعقلياً .

٢ ـ حركة التحرر الوطني العالمية :

احدى سمات عصرنا الراهن ، التطور العاصف في حركة التحرر الوطني لشعوب ثلاث قارات ، هي آسيـا وافـريقيـا وامـريكـا الـلاتينية ، فقد اندفعت شعوب هذه القـارات في الكفـاح ضد الامـبريالية ، وتكلل نضالها المديد والقاسي ، بالتخلص من نير الامبريالية الكولنيالية . وخلال عقود قليلة ظهرت على المسرح الدولي ٨٠ دولة حرة سياسياً . وفي افريقيا وحدها ظهرت ٣٤ دولة تتمتع بالسيادة الوطنية خلال ١٣ عامـاً من ١٩٥٦ الى ١٩٦٩ . وكـان عدد سكـان المستعمـرات السـابقـة في القـارات الثـلاث . يربوعلى ٧٠٪ من مجمل سكان العالم . اما الان فأن الشعوب التي ما تزال مستعمـرة يبلغ عدد سكـانهـا نسبة الى عدد سكان العالم ١٪ فقط . ان ظهـور هذا العـدد من الـدول الفتية على المسرح العالمي كان نتيجة طبيعية ، وثمرة من ثمارات كفـاح الشعـوب ضد الامـبريـالية ، وادى ظهورها الى ادخال تغييرات هامة على عالمنا ذات اثر تاريخي بعيد المدى .
وفي الكفـاح من اجـل نيـل الاستقـلال السياسي ، سلكت بلدان « العالم الثالث » طرق مختلفـة ، فمنهـا من نال استقـلاله السياسي بالنضال السلمي ، ومنها من ناله بعد نضال عنيف مسلح دام سنوات عديدة . وقد اسهمت الظروف السائدة في كل بلدان حركة التحرر ، في الطريقة التي جرى الحصول فيها على الاستقلال . الا ان السمة المشتركة بين جميع البلدان ، هي انها ناضلت ضد عدو واحد هو الاستعمار والامبريالية .
العـامـل الـرئيسي الـذي اسهم في انتصار ونجاح حركات التحرر كان من حيث الاسـاس انتصـار ثورة اكتـوبـر الاشـتراكيـة التي حررت واطلقت طاقـات الجماهير الشعبية في روسيا اولاً ومن ثم في مختلف بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

ونتيجة الهزيمة الفاشية الالمانية والايطالية والامبريالية اليابانية وانتصار الثورات الاشتراكية في عدد من البلدان في آن واحد وظهور المعسكر الاشتراكي الى الساحة الدولية ، حدث نهوض عارم في حركة التحرر في مختلف القارات ، وانزلت ضربات قاصمة في الامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية . اذ عندما اصبحت الاشتراكية قوة جبارة امكن لشعوب القارات الثلاث النضال ونيل الاستقلال في ظل ميزان قوى دولي جديد ، انهى للابد تفرد الامبريالية وهيمنتها على مقدرات الشعوب .

ومن البديهي ان ثورات حركات التحرر في مختلف القارات لا تتطور بمعزل عن بعضها البعض . فكل نجاح يحققه شعب من الشعوب يترك اثره السياسي والمعنوي ، في مناطق اقليمية واسعة ، فالبلدان العربية على سبيل المثال تحررت غالبيتها خلال عقدين من الزمن تقريباً أي في منتصف الاربعينات حتى اواخر الستينات من نير السيطرة الاستعمارية المباشرة ، واثرت ثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ تأثيراً كبيراً في الثورات الوطنية للعراق واليمن والجزائر وليبيا ، وكما ساهم دحر العدوان الامبريالي الامريكي في فيتنام الى تحرير فيتنام وكمبوديا ولاوس في جنوب شرق آسيا ، ولعبت ثورات وطنية في افريقيا نفس الدور في التأثير على نشاط الشعوب الثوري في القارة السوداء .

ان لشعوب البلدان التي تحررت اهداف مشتركة ومهام مشتركة وعدو مشترك هو الامبريالية العالمية . وهذا اساس موضوعي لاتحادها وتعاونها الكفاحي ، رغم عدم التجانس الكبير في هذه الحركة التي تشترك فيها طبقات وفئات اجتماعية مختلفة ، تعلب ادواراً متفاوته وتتمسك بايديولوجيات وعقائد سياسية ودينية ولديها تقاليد قومية مختلفة .

ونضال الشعوب التحرري ما كان له ان ينجح لولا نضوج الظروف الموضوعية والذاتية في البلدان المستعمرة نفسها من ناحية واستنادها من ناحية اخرى الى الدعم الاممي النزيه من قبل المعسكر الاشتراكي ، وخاصة الاتحاد السوفياتي . فقد نمت في البلدان المستعمرة القوى الاجتماعية التي وجدت مصلحتها في التخلص من نير الاستعمار المباشر . وكان من اهم سمات المرحلة الاولى في حركة التحرر . اشتراك الجماهير النشيط في النضال السياسي والاقتصادي والعسكري ضد المستعمرين

وانخراط غالبية الطبقات والفئات الاجتماعية في الاطار العام لهذا النضال .

سمات جديدة في حركة التحرر

ادى ظهور المعسكر الاشتراكي ونجاح حركات التحرر في القارات الثلاث خلال فترة زمنية قصيرة ، الى ظهور سمات جديدة في حركة التحرر ، ميزتها نوعياً عن الثورات البرجوازية الديمقراطية في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ويمكن تلخيص هذه السمات بما يأتي :

١ ـ ان حركة التحرر شملت الغالبية العظمى من بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وكان ظهور حركة التحرر كقوة كبيرة في عصرنا ، قد حدث في فترة زمنية قصيرة . وهذا ما اضفى طابعاً دولياً على نضال حركة التحرر ، يرتبط وثيق الارتباط بطابع عصرنا الراهن ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . فقد نشأت حركة التحرر العالمية ، باعتبارها احد اهم ظاهرات الازمة العامة للرأسمالية وفقدانها القدرة على التحكم بحياة ومصائر شعوب الارض . لكن ذلك كله يجري على قاعدة تتألف من حقيقة وجود فصائل وطنية مختلفة بلغت درجات معينة من النضج والتطور ، تقود حركة التحرر في هذا البلد او ذاك . وبالاساس فان التفاوت في التطور والفوارق الاقتصادية والتاريخية والثقافية ، هي التي حددت في آخر المطاف طبيعة القوى الاجتماعية التي تقود ثورة التحرر الوطني في هذا البلد أو ذاك ، كما حددت مصائر تطورها اللاحق ، سواء في السير اللاحق في طريق التقدم الاجتماعي ، ام بالارتداد الى حظيرة الامبريالية ، وقبول هيمنتها المباشرة وغير المباشرة كما حصل في العديد من البلدان التي تقودها برجوازيات محلية تابعة للامبريالية وترتبط مصالحها وثيق الارتباط بالسوق الرأسمالي العالمي . وفي البلدان التي قادت الطبقة العاملة وحلفاؤها السلطة السياسية للدولة ، فانها سارت في طريق التقدم والاشتراكية وانفصلت نهائياً عن المعسكر الرأسمالي . وبين هذين الصنفين من دول حركة التحرر توجد تلك الدول التي ما زالت تراوح في اختيار طريق التطور بشكل نهائي وحاسم . ويعكس هذا التردد في الاختيار ، ايضاً طبيعة القوى الاجتماعية التي تقود سلطة الدولة . ففي العشرات من البلدان النامية تقود

البرجوازية الصغيرة لسلطة الدولة بالتحالف مع شرائح برجوازية وطنية ، تتعارض مصالحها بهذه الدرجة او تلك مع مصالح الامبريالية . ان مثل هذه البلدان تشهد في الواقع صراعاً طبقياً ضارياً ، من اجل اختيار طريق التطور الاجتماعي ، ومآلها . بغض النظر عن طول الفترة الزمنية ـ فاما اختيار طريق التقدم الاجتماعي والاشتراكية ، أو العودة مجدداً للارتماء في ظل السيطرة الاقتصادية والسياسية واحياناً العسكرية للامبريالية العالمية .

٢ ـ بعد نيل الشعوب لاستقلالها السياسي الوطني ، برزت امامها مهمات جديدة اقتصادية واجتماعية . لكن غالبية البلدان المتحررة وجدت نفسها بعد نيل الاستقلال السياسي في حالة من الارتباط الشديد بالاقتصاد الرأسمالي العالمي ، لكنها رغم ذلك لم تكن دول تابعة للامبريالية ، بالمعنى السياسي ، فثمة الكثير من الدول التي يرتبط اقتصادها بهذه الدرجة او تلك من الوثوق بالاقتصاد الرأسمالي ، تمارس دوراً سياسياً معادياً للامبريالية ، وايضاً بهذه الدرجة أو تلك من الحزم والثبات . وينعكس نشاط هذه الدول ايجاباً في تلطيف مناخ الصراع الدولي ، داخل الهيئات الدولية المختلفة ، وفي مواقفها المؤيدة لمقترحات المعسكر الاشتراكي السلمية ، ووقوفها ، بشكل عام ، الى جانب نضال تلك الشعوب التي ما زالت مبتلية بالاستعمار المباشر لحد الآن .

وفي الطور الراهن من حركة التحرر العالمية ، يكتسب الصراع على الجبهة الاقتصادية ـ الاجتماعية اهمية فائقة ، فعلى اساس النجاح في هذا الصراع يمكن القول ان هذا البلد أوذاك نجح فعلاً بالتخلص من اثار الاستعمار ، وانه انفلت نهائياً من قبضة الامبريالية . فضح لينين الايديولوجيين البرجوازيين فاشار الى « انهم يثرثون بصدد التحرر الوطني . . تاركين جانباً التحرر الاقتصادي ، اما في الواقع فان هذا الاخير هو الرئيسي » وقد اثبتت تجربة حركة التحرر ان جميع الدول التي استمر اقتصادها على ارتباطه بالاقتصاد الرأسمالي ، تتعرض للاستثمار والنهب ، كما يتعرض استقلالها السياسي الذي هو في الغالب شكلي ، الى الضياع .

ان التحرر الاقتصادي سيلزم الجمع بين النضال من اجل التحرر السياسي

والنضال من اجل التقدم الاجتماعي ، وبالنتيجة فانه يلغي دور البرجوازية والبرجوازية الكمبورادورية . وكل الفئات الطفيلية في ادارة اقتصاد البلد النامي ، أو في قيادة سلطة الدولة ، من شأن هذا فقط ، ان يؤمّن لسير اللاحق في طريق التقدم والاشتراكية . وبدون حسم الصراع على سلطة الدولة ، واقصاء البرجوازية الصغيرة عن ان تنفرد بالحكم ، فان الاستقلال السياسي والاقتصادي ليبقى معرضاً للهزات والمخاطر . وهناك ما يكفي من التجارب للاستنتاج ، بان الدول الفتية التي تقودها برجوازية صغيرة متحالفة مع شرائح من البرجوازية الوطنية ، قد عرضت الثورة لنكسات ، وليس ذلك بالطبع بمعزل عن ، الظروف الملموسة لتطور الاقتصاد ودور الطبقات والفئات الاجتماعية ونشاطها السياسي وطبيعة توازن القوى فيما بينها . فهناك لدينا تجارب اكدت امكانية تطور الديمقراطية الثورية . وانتقالها الى مواقع الطبقة العاملة وفكرها وقيادتها للتحولات الجذرية نحو الاشتراكية .

٣ ـ ان ثورات التحرر الوطني في الوقت الراهن ، قد اكتسبت طابعاً اشد عمقاً من تلك الثورات التي شهدتها العقود الاولى من القرن العشرين ، حيث كانت مهمة هذه الثورات مجرد تمهيد الطريق لنحو الرأسمالية ، كما كشفت عن ذلك تجربتي تركيا وايران والهند وغيرها من البلدان . اما الان فقد ظهرت بفضل تغير نسبة القوى الطبقية على المسرح العالمي ، امكانية فعلية على تحول ثورات التحرر الوطني الى ثورات اشتراكية ، ثورات معادية لطريق التطور الرأسمالي .

في عام ١٩٢٠ رأس المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية (الكومنترن) عند صياغة موضوعاته عن قضية المستعمرات لينين ، وجرى في هذا المؤتمر تعديلاً كبيراً وجوهرياً في النظرة لحركة التحرر الوطني حيث استعيض بكلمات (حركة التحرر الوطني الثورية » بدلاً عن (الحركة البرجوازية الديمقراطية) . في تحديد ما يجري في اوساط الشعوب المستعمرة . وفي عهدنا الراهن يجري تقارب واضح وملموس بين نموذجي الثورات : ثورات التحرر الوطني والثورات الاشتراكية فثورات التحرر الوطني ، ومنذ البدء لا تتجه ، فقط ضد الامبريالية الكولينالية فحسب ، وانما ياضاً بهذه الدرجة أو تلك ضد الرأسمالية ، وهذا عامل مهم لتوثيق الروابط بين

الاشتراكية العالمية وحركة التحرر :

القوى المحركة في ثورات التحرر الوطني

تتسم اللوحة الطبقية في بلدان حركة التحرر , بالتعقيد الشديد , سواء من ناحية دور كل طبقة وفئة , في الاقتصاد وفي النشاط السياسي . أومن ناحية مقدار تطور واستعمال المقدمات الاساسية لكل طبقة اساسية . وذلك ينتج بالاساس من واقع وجود انماط اقتصادية مختلفة ومتعايشة في آن واحد في الغالبية من هذه البلدان . كما ان الاثر المشوه لازمنة السيطرة الاستعمارية قد ترك اثره الواضح في طبيعة التركيبة الطبقية السائدة . ويمكن القول بشكل عام ـ وهذا لاينطبق على جميع البلدان ـ ان الذي يميز التركيبة الطبقية هو طغيان النسبة العددية للفلاحين من عدد السكان العام في كل بلد . وقد يترافق ذللك مع نمو محدود للبرجوازية والطبقة العاملة في آن واحد ، وهذا مايدفع بالفئات الوسيطة في المدن ، خاصة البرجوازية الصغيرة بكافة شرائحها لان تلعب دورا سياسيا نشيطاً في الحياة العامة في عدد كبير من هذه الدول

الوصف العام السابق لاينفي التمايز في وضع كل بلد ، فيما يتعلق بنسبة كل طبقة من مجموع السكان ومقدار نشاطها السياسي ، ودورها في الكفاح الوطني والطبقي . ففي الوقت الذي ما تزال فيه العديد من الدول في المراحل الاولى من التطور الرأسمالي ، غير دول اخرى قد قطعت اشواطاً واسعة في هذا الطريق ، من حين اختارت دول اخرى طريق التطور الاشتراكي بقيادة الطبقة العاملة وحلفائها من الشغيلة ، كما ان هناك بلدان تساهم فيها احزاب ديمقراطية ثورية [برجوازيةصغيرة]، في قيادة سلطة الدولة وتلعن هذه الدول في الغالب انها اختارت طريق الانتقال الاشتراكي وذللك لايعني بالضرورة انها تزعمه صحيح اذان الاساس في صحة هذا الزعم يمكن كشفه من خلال سياسة التحولات الاقتصادية ـ الاجتماعية المتبعة والمقدار الذي تكون فيه التحولات موجه حقاً ضد الرأسمالية المحلية والعالمية والمدى الذي تبلغه في تعميق طريق الابتعاد عن الرأسمالية ومنع نموها .

ان دور كل طبقة وفئة اجتماعية ومقدار نشاطها السياسي وقيادتها لسلطة الدولة او عدم قيادتها وطبيعة تحلفاتها , يتعلق من حيث الاساس بالوضع الملموس لكل بلد

من البلدان .

ان ذلك لايعني باي حال من الاحوال عدم توفر ظروف متشابهة الى حد كبير من طبيعة التركيبة الطبقية .

فالفلاحون , خاصة في بلدان، اسيا , وافريقيا، يؤلفون الاغلبية الساحقة من السكان وفي البلدان التي لم تجر فيها اصلاحات زراعية عميقة، استمر تاثير الاقطاع االملاكين العقاريين في الانتاج وفي الحياة الساسية من تللك البلدان التي نمت فيها اصلاحات زراعية عميقة، فتحت الابواب امام تطور الرأسمالية في الريف، وبالتالي الى قيام عملية فرز عميقة في ضفوف الفلاحين الى اربعة شرائح : فلاحون اغنياء , وفلاحون متوسطون , وفلاحون فقراء، واشباه بوليتاريا [عمال زراعيين].

وبشكل عام فان اهم مايميز الريف في البلدان النامية الفارق الكبير بينه وبين المدن سواء في التطور الاقتصادي ام الاجتماعي والثقافي فما زال الفلاحون في عشرات البلدان يعانون من آفات الجهل والامية والعلاقات البطريركية ، وهم محرومون نعم الحضارة الحديثة، ويتعرضون لاستقلال من قبل برجوازية بلدانهم ومرابيها وتجارها الكبار .

ان واقع الفلاحين الاجتماعي ـ الثقافي، لم يبعدهم عن النضال في سبيل حقوقهم الاقتصادية والسياسية وفي النشاط من اجل المعضلات الوطنية العامة وحينما توفرت قيادة هم كان نشاطهم السياسي واضحاً كبيراً. وينقسم الفلاحون في معتقداتهم السياسية في الغالب، وفي اطار من التذيب الواضح , بين الميل لافكار الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة الدينية , وبين الولاء للبرجوازية الوطنية [المحلية] ان ضرورة وجود قيادة للفلاحين في خارج صفوفهم تمليها ظروف اقتصادية اجتماعية تتعلق بطبيعة العلاقات الانتاجية السائدة في الريف والتي لاتسمح للفلاحين باقامة اشكال صلبة لتنظيم انفسهم فهذه المهمة تنهض بها الطبقة العاملة العصرية أو البرجوازية [الوطنية] وفي احيان كثيرة ايضا البرجوازية الصغيرة , التي تجد في الريف ذخيرتها التي لا تنضب بحكم كون الفلاحين منتجين صغار للسلع الزراعية، اي برجوازيين صغار، خاصة في تلك البلدان التي جرى فيها تفتيت الملكيات الاقطاعية الكبيرة للارض وتوزيعها على الفلاحين لاستغلالها كمنتجين صغار : دون ان تبيح هذه

العملية , قيام اشكال ارقى للانتاج الزراعي , اي تكون الجمعيات التعاونية والمزارع الحكومية نواة الملكية لوسائل الانتاج في الريف .

ان الفلاحين قوة ثورية كبيرة ، لكنها تقوم بدورها الشوري ، اذا لم تعمل منعزلة ، أي اذا عملت مع قسم من المجتمع اكثر تلاحماً واكثر تنظيماً(*)

في جميع البلدان النامية نشأت المدن في أطار تطور اقتصادي ـ اجتماعي مر بمراحل عديدة من النضوج . ونشوء المدن هو دائماً ظاهرة [illegible] تعكس التطورات الهامة في حياة كل شعب الاقتصادية والاجتماعية . وفي عصرنا الراهن فأن المدن هي مركز الصناعة ، الحديثة والتجارة ومركز الثقافات العصرية ، وفيها تتواجد الطبقات الاساسية في عصرنا الراهن ، أي البرجوازية والبروليتاريا . سكان المدن هم من جهة ارباب العمل ـ البرجوازيون ـ اصحاب المؤسسات الصناعية والتجارية والمالية الكبيرة والمتوسطة ـ ومن جهة ثانية منتجو الخيرات المادية المباشرون أي العمال من مختلف الفئات .

وحين نذكر البرجوازية الوطنية ، فان المقصود هنا ، البرجوازية المحلية . وهذه البرجوازية في البلدان النامية لا تشكل قوة واحدة موحدة . فهي تشمل فئات عديدة لها مصالحها الخاصة ، التي تختلف وتلتقي مع مصالح الفئات الاخرى منها وتنقسم البرجوازية الى ثلاث فئات : البرجوازية الكبيرة ، والمتوسطة ، والصغيرة .

البرجوازية الكبيرة هي اكثر الفئات عداء للتقدم الاجتماعي ، واستعدادها للتساوم مع الامبريالية على حساب مصالح شعوبها ، واذا كانت تحاول اشاعة وهم انها تعمل من اجل الاستقلال ، واقامة علاقات زمالة . طبيعية مع الدول الامبريالية، فانها بذلك تحاول اخفاء تبعيتها للامبريالية لان هذه الرغبة ـ حتى اذا وجدت وهي موجودة فعلاً لديها ـ لايمكن ان تتحقق بسبب طبيعة قسمة العمل الرأسمالية في الساحة الدولية وبسبب التخلف المزمن لبلدان حركة التحرير وعدم قدرتها على منافسة البلدان الرأسمالية .

(*) انظر : العالم الثالث قضايا وآفاق ـ ص ٤٢ مصدر سابق

اما البرجوازية الوسطى ، فان وضعها الاقتصادي أقل ثباتا وهي لذلك تشعر اكثر بضغط الرأسمالي المحلي الكبير من ناحية وضغط الرأسمالي الاجنبي . وهذا ما يؤدي بها الى القيام بدور انشط في مناوئة الامبريالية ، وفي دعم اجراء تحولات عصرية في الريف ، اذ تطمح بذلك توسيع السوق المحلي ، الضيق بسبب ضعف القدرة الشرائية لدى عموم السكان وبشكل خاص الفلاحين وهي تقف موقفاً ايجابياً من تكوين قطاع الدولة الرأسمالية . ومن خلال هذا القطاع تحاول زيادة تراكم الرأسمال المحلي ، وحمايته باجراءات سلطة الدولة ، ومن خلال ذلك تعزيز دورها السياسي والاجتماعي .

ومن الواضح انه لا يوجد (سور صيني) يفصل البرجوازية الكبيرة عن المتوسطة ففي ظروف نمو الرأسمالية ، تصبح قضية تحول شرائح من البرجوازية المتوسطة الى برجوازية كبيرة مسألة زمن ، وفي نفس الوقت تنحدر من البرجوازية المتوسطة شرائح الى الفئة الادنى ، أي البرجوازية الصغيرة .

ان المواقع الاقتصادية للبرجوازية المدينية الصغيرة ، وبشكل اساس ، صغار التجار واصحاب المشاغل والورشات الصغيرة ، غير ثابتة ، وهي لهذا تتأثر في بعض الاحيان وفي وقت واحد ، بقوى اجتماعية متضادة . وهي تعيش على اتصال دائم مع الشغيلة ، مع فئات السكان غير المالكة ، ولهذا فهي اكثر ميلاً للاجراءات الراديكالية اقتصادياً وسياسياً . وغالباً ما يقوم ممثلو البرجوازية الصغيرة السياسيون بنشاط فعال ضد الامبريالية : وقد تنسجم احياناً مع مطالب اجراء تحويلات اجتماعية عميقة . واضافة الى هذه الفئة من البرجوازية الصغيرة توجد فئات اخرى هي مكونة من المثقفين والمستخدمين الصغار والضباط والطلاب . ويقوم هؤلاء بدور سياسي كبير في حياة الغالبية العظمى في دول حركة التحرر . واذا اخذنا المجتمع العربي كمثال فسوف نجد ان البرجوازية الصغيرة ونفوذها السياسي كبيران فهي تحتل منذ زمن طويل مواقعها في القطاعات التقليدية للاقتصاد مثل التجارة والرقي ونشأت مجموعات جديدة مرتبطة بالانتاج السلعي في الريف والمدينة ، واصبحت هذه الفئات الاجتماعية واسعة جداً في ظروف البلدان العربية فضلاً عن تنوعها وعددها الكبير . وسلطة البرجوازية الصغيرة التي كانت واسعة في السنوات

التي اعقبت انتزاع الاستقلال الوطني في البلدان العربية ، اصبحت ركيكة ومتناقضة في الحياة الاجتماعية والسياسية »(*) .

ان دوراً خاصاً في تطور البلدان النامية التقدمي يعود للعمال . ورغم ان البر وليتاريا ما زالت فتية وقليلة العدد من بين المجموع العام للسكان فانها تمتعت بمزايا كفاحية وطنية وطبقية اثرت في نشاطها ودورها الوطني في غالبية البلدان النامية واجه العمال في مرحلة الاستعمار عدوين في آن واحد : الامبريالية والبرجوازية المحلية ، وقد تحول هذين العدوين الى وجهين لعملة واحدة ، في استغلال كدح العمال وجماهير الشغيلة ، وهذا ما طبع حركة الطبقة العاملة في غالبية البلدان النامية بطابع مميز هو قيامها اضافة الى دورها في النضال الطبقي ، بالنضال الوطني العام ضد الامبريالية ومن اجل المصالح الجذرية للعمال والفلاحين الكادحين والشغيلة بشكل عام ، وهناك امثلة عديدة على نجاح الطبقة العاملة في قيادة الجماهير الشعبية في الثورات الديمقراطية الشعبية بنجاح والسير في طريق التقدم الاجتماعي والاشتراكية (الفيتينام ، والصين) وحصل في بلدان اخرى ، وبتأثير افكار الطبقة العاملة نشاطها السياسي الكبير ، ان انتقلت فئات برجوازية صغيرة الى مواقع الاشتراكية العلمية وهي تقود الان سلطة الدولة في بلدانها (كوبا ، لاوس ، انغولا ، كمبوديا ، اليمين الديمقراطي) ان تشابك مهام التحرر الوطني مع مهام التحرر الاجتماعي ، في عصرنا الراهن ، يدفع اكثر فاكثر باتجاه قيام الطبقة العاملة بقيادة النضال في مرحلة التحرر الوطني والسير الناجح في طريق التقدم الاجتماعي ، ويرتبط هذا بعمليات اقتصادية ـ اجتماعية عميقة تجري في مختلف لمدان حركة التحرير الوطني .

ان الدور الوطني والطبقي للطبقة العاملة لا يرتهن بنسبتها العددية ، بقدرما يرتهن بميزاتها الخاصة الطليعية ، فهي اكثر الطبقات انسجاماً في المصلحة بين فئاتها ، ولذلك فهي عدو ثابت للملكية الخاصة ، وهي الاقدر على تنظيم نفسها ، وتأسيس احزابها السياسية الى هيئة اركانها في المعارك وامتلاكها لناحية النظرية

(*) انظر : تاريخ الحركة العمالية والشيوعية ـ ص ١٩٧ مصدر سابق

العلمية الثورية في عصرنا أي الاشتراكية العلمية ، يجعلها اكثر الطبقات قدرة على فهم عملية التطور بصورة علمية وبالتالي يمنحها القدرة على خوض النضال وقطع مراحله المتعددة صوب هدفها الاستراتيجي لبناء الاشتراكية والشيوعية . في العشرات من بلدان حركة التحرر حصلت تغيرات عميقة ، خلال العقدين الاخيرين منّ الزمن ، فيما يتعلق بزيادة عدد افراد الطبقة العاملة ، وفي تأسيس احزابها السياسية ، ومساهمتها في النضال ، وارتبط ذلك بتحولات اقتصادية اجتماعية . وهناك امثلة ذات دلالة في تصدي الطبقة العاملة في بلدان حركة التحرر لمهام النضال المعقدة . وتحولها الى قوة اجتماعية ـ سياسية جبارة داخل بلدانها . ومكان الاتجاه الاهم في تطور البلدان العربية هو تنامي دور الطبقة العاملة اذ « اصبحت اكثر القوى الاجتماعية والسياسية نشاطاً واحتراماً » . . (*)

في الكفاح المعادي للامبريالية ، ومن اجل التحولات الاجتماعية الجذرية وفي النضال ضد البرجوازية الكبيرة والطفيلية ، ومن اجل اشاعة الديمقراطية السياسية والاجتماعية . وفي الدفاع عن مصالح الشغيلة ، وادى الازدياد المضطرد لدور الطبقة العاملة في البلدان العربية ، الى التأثير الى هذا الحد أوذاك ، في توجهات الانظمة الوطنية القائمة ، أو في الكفاح من اجل الاطاحة بالانظمة الرجعية والدكتاتورية . وفي هذا النضال كسبت الطبقة العاملة في العديد من البلدان العربية ، حلفاء لها فيشاركونها في النضال من بين صفوف الفلاحين وفئات البرجوازية الصغيرة من المثقفين الثوريين على اصنافهم واثرت تأثيراً سياسيا واجتماعيا بالغ القوة في نشاط الفئات السكانية المختلفة ، ان الموقع الاستراتيجي والثروات التي يتمتع بها الوطن العربي ، دفعت وتدفع الامبريالية والبرجوازية المحلية الى تشديد الهجوم ضد الطبقة العاملة واحزابها السياسية ، وكل اطراف حركة التحرر الوطني العربية . وقد نجحت الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية في حرف بعض البلدان العربية عن نهج معاداة الامبريالية ، لكنها أخفقت بالمقابل في اطفاء شعلة الكفاح المستعمر ، وهذا ما يولد حالة عدم الاستقرار المزمن في وضع الرجعيات العربية ، وما يدفع بها

(*) تاريخ الاحزاب العمالية والشيوعية ص ١٩٨ مصدر سابق .

ووراءها الامبريالية الى تشديد الهجوم الذي وصل ابعاداً خطيرة في المحاولات لاعادة استعمار البلدان العربية عسكرياً من قبل الامبريالية الامريكية وحلف الاطلسي .

٣) الحركة الثورية للطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية

تناضل الحركة الثورية للطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، في عقر دار الرأسمالية ، وتكسب مواقع متقدمة في الخنادق الامامية المعادية للامبريالية ومن اجل التقدم والاشتراكية . وبالارتباط مع التبدل في نسبة ميزان القوى الدولي نتيجة لظهور المعسكر الاشتراكي ، اكتسب نضال البروليتاريا في البلدان الرأسمالية طابعاً جديداً . اذ ان البروليتاريا في الوقت الذي تناضل ضد « برجوازيتها » في البلدان الرأسمالية ، من اجل حقوقها ومطالبها الطبقية والاجتماعية ، والسياسية ، فانها تساهم مباشرة في الصراع العالمي المعادي للامنبريالية ، على كافة الجبهات السياسية وغيرها ، وتشكل في نفس الوقت عاملاً حيوياً في التوازن الدولي ، من خلال كفاحها ضد النزعات العدوانية الامبريالية ضد الشعوب الاخرى ، ونضالها الديمقراطي ضد التسلح ، ومن اجل ابعاد الهيمنة الاميركية المباشرة على البلدان الاوروبية الرأسمالية . ويهمنا هنا ان نتناول بالتحليل المميزات الخاصة في تطور الحركة العمالية والشيوعية في البلدان الرأسمالية عقب الحرب العالمية الثانية وطبيعة التطورات التي حدثت في بنيتها .

كشفت الحرب العالمية الثانية عن كافة النواقص المزمنة في الرأسمالية . واعقب الحرب نمو ومد جماهيري في الغالبية العظمى من البلدان الرأسمالية . فقد ادى الانتصار على النازية والفاشية الى اضعاف الرأسمالية ككل ـ واثناء اعوام الكفاح ضد الفاشية كانت الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية هي القوة الرئيسية في الجبهات المعادية للفاشية . وقد تبلورت ثلاث مراحل في تطور الطبقة العاملة ونضالها في البلدان الرأسمالية بعد الحرب الثانية .

المرحلة الاولى امتدت ما بين الاعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ وهي مرحلة النهوض الثوري للطبقة العاملة والجماهير الشعبية ، ان الاحزاب الشيوعية التي اكتسبت

نفوذاً كبيراً اثناء النضال ضد الفاشية احتلت مراكز متقدمة في بلدانها بعد انتهاء الحرب واشتركت في ثماني حكومات في البلدان الرأسمالية هي : ايطاليا وفرنسا والنرويج وفنلندا والدنمارك والنمسا وبلجيكا ولوكسمبورغ وتحت ضغط الطبقة العاملة جرى تأميم عدد كبير من الاحتكارات الكبرى في عدد من البلدان الرأسمالية . وحصلت الطبقة العاملة خلال هذه الفترة على مكاسب طبقية عديدة تتعلق بمستوى حياتها وظروف العمل وتشريع قوانين للعمل . . الخ . وقد اثرت موجة المد الثوري فانعكست في دساتير عدد من البلدان الرأسمالية خاصة ايطاليا وفرنسا واليابان .

منذ عام ١٩٤٩ حصلت تحولات كبيرة في غالبية البلدان الرأسمالية وبدأت مرحلة الهجوم المضاد من قبل البرجوازية ضد الطبقة العاملة ، واستطاعت البرجوازية الامبريالية اعادة تنظيم صفوفها وشن الهجوم الشامل تحت يافطة الاحزاب المسيحية والاشتراكية الديمقراطية التي خانت حلفاء الامس وبواسطة خطة « مارشال » جرى زمن الهيمنة الاميركية على اوروبا الغربية . وكانت ذروة هذا التحول تأسيس حلف الاطلسي عام ١٩٤٩ واعادة احياء الروح العسكرية في العديد من الدول الامبريالية بما في ذلك في المانيا الغربية .

وجرى تعزيز الهيمنة الاميركية على اوروبا الغربية بتأثير وجود الجيوش الامريكية في المانيا الغربية وعدد آخر من الدول الرأسمالية .

المرحلة الثانية كانت مرحلة تنشيط النضال ضد الرأسمال واستمرت الى اواخر الستينات اذ شهدت هذه المرحلة تصاعداً في نضال الاحزاب الشيوعية في عدد من الدول الرأسمالية . وتصدرت كفاح العمال والجماهير الشعبية ضد البطالة ومن اجل الحقوق الديمقراطية ، ومن ابرز الاضرابات التظاهرات الكبرى في هذه المرحلة كان الاضراب الهائل لعشرة ملايين كادح فرنسي في شهري أيار وحزيران عام ١٩٦٨ تعبيراً عن الازمة الاقتصادية والاجتماعية العميقة في البلاد والاضرابات العامة للكادحين في ايطاليا عامي ١٩٦٨ - ١٩٦٩ المطالبة باصلاح الضمان الاجتماعي والتي اشترك فيها من ١٧ الى ١٨ مليون شخص ، والاضراب الكبير لعمال المناجم في استوريا في اسبانيا في خريف ١٩٦٨ واوائل ١٩٦٩ و« الزحف

الـربيعي » في اليـابـان التي اشـترك فيهـا ١٤ مليـون شخص وكـذلك الاضرابات الجـماهـيريـة في العـديـد من الـدول الـرأسمالية الاخرى خاصة بريطانيا والولايات المتحـدة الامـريكيـة واتسمت النضـالات الطبقيـة للطبقة العاملة في هذه المرحلة بما يلي : الطـابـع الجـماهـيري الـواسع ، تنوع اشكال الاضرابات ، المساهمة المركزة للنقـابـات ، ارتفـاع نسبة المطاليب السياسية في الاضرابات ، تنسيق بين اضرابات العـمال واضـرابـات الفـلاحـين والمثقفـين والطلبـة والفئـات المتـوسطـة ، مسـاهمة البروليتاريا الصناعية في الاضرابات وحملات الاحتجاج مساهمة اساسية ، وبالطبع كان للاحزاب الشيوعية دور قيادة هذا المد العمالي الجماهيري .

المـرحلة الثـالثـة في الحـركة العمالية بدأت مع بداية السبعينات وقبل الحديث عن طابـع هذه المـرحلة لا بد من الحـديث عن بنيـة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة وما جرى عليها من تغيرات في ظروف الثورة العلمية التكنيكية . فقد جرت في المرحلة الثالثة من الازمة العامة للرأسمالية تحولات عميقة في بنية الطبقة العاملة وتحـولت بفعلهـا الـبروليتـاريـا الى طبقة جماهيرية واسعة جداً بفعل انضمام فصائل جديـدة اليهـا . في النصف الثـاني من السبيعنات بلغ عدد العمال الاجراء في الدول الرأسمالية المتطورة ٢٥٠ مليون وعدد ابناء الطبقة العاملة الحديثة ٢٠٩ مليون . من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٧٦ ازداد عدد العمال الاجراء في الولايات المتحدة من ٥٦ الى ٨٢ر٧ مليون وفي المانيا الاتحادية من ٢٢ مليون الى ٢٣ر٣ عام ١٩٧٥ وفي فرنسا من ١٣ر٦ عام ١٩٦٢ الى ١٦ر٨ مليـون عام ١٩٧٣ وفي اليـابـان من ٢٤ مليـون عام ١٩٦٠ الى ٣٦ مليـون عام ١٩٧٤ . وتكـون نسبـة العمال الاجراء في ١٥ من اكبر الدول الرأسمالية تطوراً هي ٨٤٪ من السكان القادرين على العمل(*) .

وفي ظروف رأسـمالية الدولة الاحتكارية واتساع الثورة العلمية التكنولوجية تتسع صفـوف الطبقـة العـاملة فتتحـول عدد من الفئـات الى صفوفها خاصة من المثقفين والفنيـين والمهنـدسـين والمـوظفين في المكاتب والبنوك . اضافة الى المصادر التقليدية التي ترفـد صفـوف الطبقـة العـاملة ، أي من الفـلاحـين والبرجوازية الصغيرة من

(*) انظر : تاريخ الحركة العمالية والشيوعية ـ صوفيا ١٩٨٢ ـ ص ١٠٦

المدينة . ان التحولات التي تطرأ على بنية الطبقة العاملة ، لا تؤثر بأي حال من الاحوال على دورها باعتبارها الطبقة الانتاجية والثورية الرئيسية في المجتمع الرأسمالي كما يحاول ان يصور ذلك منظرو البرجوازية ان البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة التي لا تجد مصالحها في نظام الملكية الخاصة . وان التغيرات البنيوية داخلها وفي النظام الرأسمالي ككل لا تقلل من ثوريتها كما يزعم اصحاب النظريات البرجوازية الجديدة حول الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية .

فالاستغلال في ظروف الرأسمالية المعاصرة يستمر ويشتد ويأخذ اشكالاً اكثر حدة ويتعمق التفاوت بين قيمة قوة العمل واجرة العمل . ولا تتناسب الزيادة في الاجور التي يحصل عليها العمال نتيجة نضالهم الاقتصادي ، مع الارتفاع السريع في الاسعار نتيجة لتضخم واعباء الضرائب وايجارات السكن واسعار الخدمات المختلفة . وتمارس الدول الرأسمالية تمييزاً فاضحاً في دفع اجور العمال ، بين النساء والرجال في نفس العمل ، كما تحرم العمال من حقوقهم في الصحة والراحة وتوفير نظام لصيانة العمال من حوادث العمل .

وفي ظروف الازمة الحادة للرأسمالية تعمقت في السنوات الاخيرة مشاكل التضخم المالي وارتفاع الاسعار . ففي عام ١٩٧٥ ارتفعت الاسعار بالنسب التالية : في بريطانيا بـ ٢٥٫٥٪ وفي فرنسا والولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية بـ ٢٤٫٨٪ وفي ايطاليا بـ ٢٧٪ ومنذ حزيران ١٩٧٢ حتى حزيران ١٩٧٧ ارتفعت اسعار الاغذية في الولايات المتحدة باكثر من ٥٠٪ وتتآكل اجور العمال بطرق استغلالية مختلفة : الضرائب غير المباشرة ، اجور الخدمات الصحية ، استقطاعات صنادیق التقاعد . . الخ .

ومن اشق العواقب الرأسمالية في ظروف الثورة العلمية التكنولوجية هي البطالة ، ومنذ اوائل الستينات ازدادت البطالة بنسب كبيرة في كافة البلدان الرأسمالية واستمرت هذه النسب بالزيادة عام بعد عام .

وحسب الاحصاءات الرسمية كان عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة وكندا واوروبا الغربية واستراليا واليابان في عام ١٩٦٠ ، ٧٫٠ مليون مواطن ، وبلغ العدد في عام ١٩٧١ ، ١٠ ملايين وفي عام ١٩٧٢ . بلغ ١١ مليون ، وفي اواخر

١٩٧٧ ، بلغ العدد ١٨ مليون عاطل اضافة الى عشرة ملايين عامل يعملون بأيام عمل قصيرة ، وبهذا يتعرض للبطالة اكثر من ٤٠ مليون انسان اذا اخذنا بالاعتبار افراد أسر العاملين .

ومن خصائص البطالة المعاصرة طابعها الاممي . أي انها تنتشر في جميع الدول الرأسمالية في آن واحد تقريباً ، نتيجة للازمات الدورية التي تشمل عالم الرأسمال .

وتتسم البطالة بسمة جديدة نوعياً هي انها توسع حدودها الاجتماعية وتشمل كافة فئات الاجراء فيضاف الى بطالة عمال الصناعة عمال العمل الذهني من الموظفين وعمال الخدمات والتجارة . وتزداد نسبة البطالة بين النساء والشبيبة والعمال الاجانب الذين يتعرضون للتمييز القاسي . وفي الولايات المتحدة الاميركية يتعرض السكان الملونون الى زيادة في نسبة البطالة بين صفوفهم .

دور الاحزاب الشيوعية في البلدان الرأسمالية

تنامى دور الاحزاب الشيوعية في المرحلة الثالثة من الازمة الرأسمالية العامة ، تنامياً مضطرداً في عدد من الدول الرأسمالية ، وفي عدد آخر منها تلعب الاحزاب الشيوعية ادواراً هامة في كفاح الطبقة العاملة . وجاء تنامي دور الاحزاب الشيوعية بفضل نضالها الدؤوب في الدفاع عن المصالح الجذرية للجماهير الشعبية الواسعة وقد تحولت الاحزاب الشيوعية في كل من ايطاليا وفرنسا وفنلندا والبرتغال واليونان ، الى احزاب جماهيرية ذات نفوذ واسع . وتمثلت زيادة نفوذ الاحزاب الشيوعية في زيادة عدد اعضائها اذ تحول كل من الحزب الشيوعي الايطالي والشيوعي الفرنسي الى اكبر الاحزاب الجماهيرية في البلدين . وفي البرتغال واليونان يُعد الحزبان الشيوعيان فيهما من الاحزاب الاولى في مدى أتساع نفوذهما الجماهيري . وانعكس الوزن السياسي لبعض الاحزاب الشيوعية في البرلمان والسلطات المحلية في كل من فرنسا وايطاليا واليونان والبرتغال . وفي فرنسا وايطاليا بشكل خاص لا تستطيع الحكومات البرجوازية المتعاقبة ، القفز من فوق نفوذ هذين الحزبين ، سواء في تشكيل الحكومات أو الانتخابات المحلية والعامة . ويتنامى دور الحزبين الشيوعيين في البرتغال واليونان ويتحولان الى عامل اساسي في الحياة السياسية في البلدين .

وتقوم هذه الاحزاب في توجيه ضربات هامة للرأسمالية في النضال من اجل مصالح الشغيلة في بلدانها وضد الهيمنة الاميركية ، وفي النضال من اجل وقف سباق التسلح ومناوئة النزعة العدوانية الامبريالية لحكومات بلدانها وكذلك للامبريالية الاميركية ، ويترك هذا النضال اثره الايجابي على ساحة الصراع الدولي ، اذ لا تستطيع الحكومات الرأسمالية المضي في سياساتها العدوانية في ميدان التسلح أو في ميدان التدخل في شؤون الشعوب الاخرى دون ان تصطدم بكفاح صلب وواسع ومؤثر جماهيرياً . وقد نجحت بعض الاحزاب الشيوعية في قيادة الحركة الجماهيرية ، من اجل شل الحكومات البرجوازية عن تنفيذ الكثير من السياسات الداخلية والخارجية . وفي جميع البلدان الرأسمالية تلجأ الاحزاب الشيوعية الى تكتيك التحالف مع الاحزاب الاخرى من اجل قيادة الحركة الجماهيرية في المعارك ضد الرأسمالية ، ويجري وضع سياسة الاحزاب الشيوعية التحالفية على اساس طبقي ، اذ يجري تطوير العمل المشترك وصيغ التنسيق والتحالفات السياسية والطبقية على ضوء دراسة دقيقة للطبقات والشرائح الاجتماعية وتأثيرها في النضال العام ضد الاحتكارات الرأسمالية العملاقة . وتركز الاحزاب الشيوعية على النشاط الجماهيري الواسع خارج البرلمانات وفي صفوف الطبقة العاملة وتشن نضالا دؤوباً من اجل الدفاع عن مصالح الشغيلة ومواجهة اساليب البرجوازية في زيادة استغلال الطبقة العاملة . وفي اطار عضوية الاحزاب الشيوعية في البلدان الرأسمالية في الحركة الشيوعية العالمية تساهم بقسطها في رسم سياسة الحركة الشيوعية العالمية في كل مرحلة من المراحل ودراسة كل المستجدات على الساحة الدولية . وقد اثبتت التجربة ان تضامن الحركة الشيوعية العالمية واجتماعاتها المشتركة وتنسيق مواقفها ، على اساس الماركسية ـ اللينينية والاممية البروليتارية وفي النضال من اجل النقاوة الفكرية ووحدة صفوف البروليتاريا العالمية وطلائعها تضمن افضل المواقع والفرص لخوض نهج النضال الناجح على المستوى « الوطني والاممي في آن واحد »

المحتويات

الفصل الخامس

الفصل السادس



Mouyn